وقفات مع ثمرات الجهاد

بين الجهل في الشرع والجهل بالواقع

تم إنزال هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info

إهداء
إلى كل داعية ومجاهد
بين يدي النفير

أبو محمد المقدسـي
سجن قـفـقـفـا
الجمعة الأول من ربيع الثاني 1425هـ

كلمة بين يدي الوقفات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه خلجات قلم وشجون سجون خططتها حرصاً على إخواني ونصحاً للدعوة والدعاة والجهاد والمجاهدين ..

وأنصح كل داعية ومجاهد قراءتها وتدبرها وتأملها والاستفادة من التجارب والأمثلة التي أودعتها فيها ..

وعدم تشتيت هذه الاستفادة وإضعاف ثمرتها أو تضييعها في البحث عمن يقصد الشيخ والتفكير بل عله يقصد فلاناً أو علاناً .. فالأمر أكبر من الأشخاص ..

والخطب أعظم من هذا التحجيم .. ونحن بحاجة لعقول ترتفع عن هذه السطحية في تناول الأشياء ، ولا تحجّر أو تحصر الأمور في أشخاص معينين أو مسميات .. فالدين اليوم يحارب حربا شعواء ، والجهاد يكاد له كيداً عظيماً على كافة الأصعدة وبشتى الوسائل والأساليب والمؤامرات ، ولا بد من وقفات مراجعة للمسيرة ، ولفتات تسديد وتوجيه لكل غيور على هذا الدين ؛ كي نرتقي بتفكيرنا وفهمنا ودعوتنا وعملنا وجهادنا إلى مستوى التحديات ..

وما هذه الورقات إلا محاولة مني في هذا الاتجاه ، أسأل الله تعالى أن يتقبلها مني وأن ينفعني وإخواني بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الوقفة الأولى

سوء فهم لحديث الصّعب بن جَثّامة

عندما كتبت في شرعيّة العمليات الجهادية التي ينغمس فيها بعض المجاهدين في الكفار ويفجّرون أنفسهم ليثخنوا في الكفار أصررت على ضبطها بضوابط وعدم جعلها كسائر الوسائل القتالية التقليدية المشروعة على إطلاقها ، فالتزمت ما التزمه علماؤنا المحققون من ضوابط حين جوّزوا قتل ترس أسارى المسلمين إذا تترس بهم الكفار وكان في ترك قتل الترس مفسدة أعظم من قتله بأن تكون المصلحة ضرورية قطعية ، وقد راجعني بعض طلبة العلم في هذه التقييدات والضوابط ومازلت مُصِرّاً عليها خصوصاً وأنا أسمع وأرى من يفجّر نفسه لقتل كافر واحد أو كافرين يمكن قتلهما بالمسدس أو البندقية وكرّرنا مراراً أن مشروعيتها تظهر في حال عجز المجاهد عن الجهاد بدونها بحيث يكون في ترك هذه الوسيلة تعطيل للجهاد وعلوّ لدين الكفر والكفار ، ويُصِرّ مخالفونا على أنها وسيلة كسائر وسائل القتال ولو لغير ضرورة ولولم يكن من ورائها إثخان أو مصلحة عظيمة ...

وهذا التقييد منا والتشديد باعثه تعظيم حُرمةِ دم المسلم والحرص على تحقيق مقاصد الجهاد كما يحبها ربنا ويرضى ..

وإذا كان هذا التشديد في قتل المسلم نفسه في هذه الصورة فكيف في تسبّبه في قتل غيره من المسلمين بسبب الفوضى التي عَمَّتْ بعض ساحات القتال وعدم التزام المقاتلين فيها بضوابط الشرع وحدود الله ...

فقد أصبح كثير من الشباب مُغرما بعمليات التفجير لضرورة أو غير ضرورة وكأنّ الجهاد لا يصلح إلا بالمتفجرات ... !!

أو كأن هؤلاء الشباب لا يُحسنون غيرها ...

وكأنهم لما تدرّبوا عليها صار لزاماً أن لا يجاهدوا إلا بها ..

حتى صار أعداؤنا يشمّون رائحة هؤلاء الشباب ويقرّرون في تحقيقاتهم الأوّلية أنهم وراء مثل هذه الأعمال بمجرد كون العمل تفجيراً لغير ضرورة ، أو بمعرفة نوع المتفجرات التي لا يُحسن بعض هؤلاء الشباب غيرها .. ..

ربما لأنهم يسمعون ويشاهدون بعض العمليات المتقنة التي يُنفذها المجاهدون المتمرّسون في الشيشان أو القاعدة ونحوهم من ذوي الخبرة فيسعون إلى محاكاتهم وتقليدهم دون أن يمتلكوا خبراتهم وتمرّسهم فيحصدون بذلك فشلاً ذريعاً وأخطاءً تُحزن الموحدين وتقرّ أعين المشركين ، ولا يُعفي أولئك الشباب من المساءلة والملامة والإنتقاد كون ذلك الشارع أو السوق أو الميدان الذي أوقفت أو وضعت فيه سياراتهم المفخخة أو عبواتهم الناسفة قبالة سفارة عدو أو أمام بيته مادام يُنال مثل هذا العدو بالطرق التقليدية دونما تفجير ومادام هؤلاء الشباب لا يُعمّمون التكفير على جماهير المسلمين في ديارنا كما يفعله الغلاة ...

فأي شرع أو عقل يُبيح مثل هذه الأَعمال .. وهل حقاً هي من الجهاد الذي يُرضي ربنا ؟؟

فكم سمعنا بعمليات ذهب ضحيتها جمع من الأَبرياء المسلمين وربما لم يذهب فيها عدو واحد لله ، وماذلك إلاّ للإصرار على تنفيذها بواسطة المتفجرات وكان يمكن أن تحسم بطلقات معدودات ، وعندما نتوجّه باللوم إلى أولئك الشباب أو نُعاتبهم ونناصحهم أو ننكر عليهم وندعوهم إلى أن يتقوا الله في المسلمين وفي الجهاد وسُمعته ونذكّرهم بحرمة دم المسلم ولو كان عاصياً فاجراً ..... يبادرون فوراً بالاستدلال بحديث الصّعب بن جَثّامة وأن فعلهم إنما هو من جنس تبييت الكفار ...

وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا بنا فلننظر في حديث الصعب بن جثامة وفي دلالته وفِقْهِه وكلام العلماء فيه ...

روى البخاري ومسلم من حديث الصَّعْب بن جَثَّامةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن أهل الدار يبيتون من

المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم ؟ قال : " هـم منهـم " وسـمعته يقـول : " لا حِمـى إلا للـه ولرسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم " ففي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار والمشـركين ليلاً ولو ترتّب على ذلك أن يقتل معهم بعض نسـائهم وذراريهـم الذين نهينا عن تقصُّدِ قتلهم ...

ففي الحديث رفع الحَرَجِ عن قتلهم من غير تقصّـد فـي مثـل هـذه الحـالات الـتي يعسُـر علـى المجاهـدين فيهـا تجنـب غيـر المقاتلين ، وأدخل في ذلك العلماء الرَّمي بالمنجنيق ... (الــذي من جنسه اليوم المتفجرات) على حصـون الكفـار فـإن التحـرز فيه عن غير المقاتلين مستحيل ....

فجـاء هـؤلاء الشـباب فاسـتدلوا بهـذا الحـديث علـى تجـويز عمليات التفجير في شوارع المسلمين وأسـواقهم مـع أن قـوله صلى الله عليه وسلم " هم منهم لاحمى إلا لله ولرسوله " دليل عليهم لا لهم إذ فيه دلالة على عصمة المسـلم وأن لـه حِمـى لا يَجُوز تعدي حدودها .. وأنّ الذين لاحِمى لهم إنما هم المشركون وذراريهم لاالمسلمين وذراريهم ، أضف إلى ذلك أن نفي الحِمى عن ذراري المشركين ونسائهم فـي هـذا الحـديث إنمـا هـو فـي حالة البيات الـتي لا يقـدر المجاهـدون فيهـا علـى التحـرُّز منهـم وليست على إطلاقها للأدلة الأخرى الـتي نهـت عـن تقصـد قتـل نسائهم وأولادهم ....

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : ((هم منهم)) " المراد إذا لـم يمكـن الوصـول إلـى الآبـاء إلا بـوطء الذريّـة فـإذا أصـيبوا لاختلاطهم بهم جاز " أهـ

وقال النووي في شرح مسلم ((ومعنى البيـات)) " أن يُغـار عليهم بالليل بحيث لا يعرف الرجل من المرأة من الصبي " أهـ

تأمل كيف أن هـذا التحـرّز والاحتيـاط هـو فـي نسـاء وذراري المشركين ... فمن باب أولى وأحرى أن يكـون فـي المسـلمين إذا خالطوا الكفار ...

فكيف إذا لم يكن الهدف بيوتاً أو تجمعات سكنية مخصّصة للكفار أو مواقع عسكرية لهم ... بل صارت الأهداف شوارع المسلمين وأسواقهم وحافلاتهم وأماكن تجمعاتهم ؟ بدعوى أن في ذلك الشارع أو السّوق سفارة للعدو أو بيتاً لضابط ثم تكون نتائج هذه الأعمال عشرات الأبرياء من الرّجال والنّساء والوِلدان المسلمين ... ولا ينالون من عدوٍّ نيلا ... ثم يستدلون بحديث الصَّعب بن جثّامة وبنصب النبي صلى الله عليه وسلم المنجنيق على الطائف ...

ياإخواننا اتقوا الله في المسلمين واتقوا الله في الجهاد ، نستوعب جيداً ونتفهّم استدلال المجاهدين بأمثال ذلك حين يغيرون على المواقع العسكرية أو المجمّعات السَّكنيّة المخصصة للمشركين ولو تواجد فيها بعض المنتسبين للإِسلام .. فهذه ليست أماكن للمسلمين ولا يعصمها من هجمات المجاهدين وجود بعض من يَتَولى المشركين ويظاهرهم أو يكثّر سوادهم ممن يدعي الإِسلام .. ويدل على ذلك أيضاً حديث الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف الله بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم فيهلكون مهلكاً واحداً لا يُميّز الله في مهلكهم في الدنيا ويُبعثون يوم القيامة على نيّاتِهم ، فما دام هذا الجيش واضح الرّاية والوجهة وكونها شركية تريد غزو الكعبة أو الدين وأهله ، فكيف يَعصم أو يَمنع من قتاله سير بعض المنتسبين للإسلام في ركابه أو تكثيرهم لسواده فضلاً عن تولّيه ومظاهرته ؟؟ فلنكن واضحين فهذا أمرٌ آخر لا ننكره ولا نتكلم فيه بل ندفع عن المجاهدين فيه .. ونزيدهم أدلّةً إلى أدلتهم في تجويزه ، وإنما الذي ننكره أن يعكس البعض الأمر فتصير أماكن مرور المسلمين وتجمعاتهم ووسائل نقلهم وشوارعهم التي تكتظ بنسائهم ورجالهم وذراريهم أهدافا لعمليات تفجير عمياء بدعوى أنَّ بالقرب دكاناً لكافر أو سيارة لمشرك أو سفارة لعدو .. يطال تفجيرهم عشرات المسلمين ويحصد النساء والأطفال والأبرياء ولا ينالون من العدو الذي كان يمكن أن ينالوه بغير التفجير نيلاً ...

ياإخواننا نذكركم بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا

يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني)) وفي رواية " ولستُ منه " رواه مسلم ... عن أبي هريرة ، ماذا يستفيد المجاهد من جهاده إذا دخل في وعيد هذا الحديث وشملته براءة رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ومن جهاده ... اللهَ اللهَ في المسلمين وفي حرماتهم ودمائهم ... الله الله في الجهاد وثمراته ..

ألم تعلموا أن من حَفَرَ بئراً في طريق المسلمين وشوارعهم فتلف بها مسلم فإنه تجب عليه الكفارة والدية على عاقلته ويلتحق بالبئر كل حفرة أو سبب من أسباب الإتلاف .. نص على ذلك جمعٌ من الفقهاء عند شرحهم لحديث " العجماء جرحها جبار والبئر جبار ... " رواه البخاري وغيره وبيّنوا أنّ البئر التي لا ديّة ولا كفارة على صاحبها هي تلك التي يحفرها في أرضه أو في أرض موات أو في بادية بعيدة عن طريق المسلمين ..

وقال الشافعي : (واضع الحَجَر في أرض لا يملكها ضامن).

بل نصّوا على أن من يزحم دابة في طريق المسلمين فيغيّر طريقها فتدوس إِنساناً فإنه يضمنه ...

وبعضهم نصّ على أنه لو أهمل صيانة جدار بيته فسقط على مسلم فقتله فإنه يضمنه وكذا من أخرج عن حدّ بيته شيئاً كخشبة أو نحوها فأصاب إنساناً فهو ضامن ، بل إن بعضهم ضمّن من توضأ فصبَّ الماء في طريق المسلمين فمر مسلم فزلق به ..

إنها دماء المسلمين ... والمسألة ليست لعب ... يجب أن تعلموا يا إِخواننا أن دم المسلم غالٍ وحرمته عظيمة ، واستباحة دماء المسلمين خطر عظيم وترك قتل ألف كافر - كما نص علماؤنا - أهون من سفك محجمةٍ من دم مسلم عمدا ..

ولقد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمة في البلد الحرام في الشهر الحرام في يوم الحج الأكبر قائلاً ((إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت ؟ قالوا :

تعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) رواه البخاري

وأختم هذا بقوله تعالى : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما) الفتح (25) ...

فهذه آيات نزلت تحرّزاً لدماء عددٍ قليل من المسلمين المستضعفين الذين يكتمون إيمانهم بين ظهراني المشركين في مكة قال تعالى (لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم)

أي يصيبكم إثم وغرامة ..

وهذا إذا وطؤوهم وتسبّبوا بقتلهم بغير علم ولم يعلموهم ؛ فكيف إذا كانوا يعلمون ويتيقّنون بأن جمهور المارة في هذا الشارع أو جمهور المتواجدين في ذلك الميدان من المسلمين فيطؤوهم بعلم ؛ ألا يصيبهم بذلك معرّة وأي معرّة ؟...؟

قال : المفسرون في المعرّة ....

هي الإِثم والغمّ والشدّة ...

وقالوا : هي مفسدةُ تحدّثِ المشركين بأنّ المسلمين يقتلون أهل دينهم ...

وقالوا : هي كفارة القتل الخطأ ..

الوقفة الثانية

أعط القوس باريها

تقدم في الوقفة الأولى أنّ من معاني قـوله تعـالى فـي آثـار قتل المسلمين بغير علـم (فتصـيبكم منهـم معـرّة) أي تحصـل مفسدة تحدث المشـركين أن المسـلمين يقتلـون أهـل دينهـم ، وتُعيرون بذلك ، وصحّ في أحـاديث عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم لما دعاه بعض أصحابه إلى قتل بعض المنافقين أنـه أبـى ذلك وقال : " دعهم ، يتحدث الناس محمدٌ يقتل أصحابه " فهذه مفسدة راعى الشارع التحرّز منها خصوصاً فـي مراحـل ماقبـل الإثخان والتمكين الكامل فـي الأرض.. فيجـب علـى المجاهـدين مراعاتهـا باختيـار الأهـداف الأنقـى والأنفـع للجهـاد وللإِسـلام والمسلمين والأنكى والأغيظ لأعـداء الـدين ، والأبعـد عـن خلـط الأوراق وتشويه الجهـاد وتشـتيت دائـرة الصـراع ، وإن المتأمـل في بعض العمليات التي ينفذها بعض من قصّر في أحد الفقهيـن فقه الواقع وفقه الشرع أو فيهمـا معـاً ؛ ليـرى أنهـم لا يراعـون هذه المفسدة في اختيار الأهـداف أو توقيتهـا ولا يرفعـون بـذلك رأساً فلا ينظرون في الواقع نظرةً فاحصة ولا يتابعون مـا يـدور حولهم في العالم ليكونوا على مستوى تحـدّيات العصـر ومكايـد الأعداء ويتعرفوا إلى الأنفع لـدينهم والأفيـد لإسـلامهم وجهـادهم فيتخيروه ...

فبينمـا النـاس المسـلمون وغيرهـم يتـابعون أخبـار القاعـدة والطالبــان وهــم يتصــدّون لأعــداء الإســلام مــن الصــليبيين والعلمــانيين والملاحــدة ويشــدّ أنظــارهم صــمود المجاهــدين الشيشـان وتحطيمهـم لكبريـاء الترسـانة الروسـية واسـتهتارهم بجبروتهـا بنقلهـم للمعركـة مـن أقاصـي الشيشـان إلـى قلـب موسكو ، ويثير إعجابهم تحدي الأطفال والشـبان فـي فلسـطين للدبابات اليهودية وأسـلحتهم المدججـة ويشـاهدون بـأم أعينهـم كيف يفر اليهودي ببندقيته مولياً الأدبار مخافة حصيات يقذفه بها غلام صغير ..

يخرج علينا بعض الناس ممن أظنهم يحبسون عقولهم في قواقع ولا يعايشون هذا الواقع ليطلقوا النار على المصلين في بعض مساجد السودان وآخرون يفجرون مسجداً للشيعة في قرية من قرى الباكستان وبعضهم مغرم بتفجير الحافلات المكتظة بعوام المسلمين من رجال ونساء وولدان في شوارع كراتشي ولاهور. وبينما يتطلع المسلمون إلى معالي الأمور وعظائمها ويسعى ذوي الهمة العالية من مجاهديهم إلى جهاد يمكّن لأهل الإسلام في هذا الزمان ... أو إلى أهداف تكسر عظم أعدائهم المحاربين وترغم أنوفهم باستهداف مدمرات نووية أو مراكز استخباراتية وأعمدة السياسة أو أركان الحكم والاقتصاد في عقر ديار المشركين يخرج علينا بعض المتحمسين من الشباب بالإغارة على كنائس أو قتل سياح عجائز أو مندوبي هيئات إغاثة ونحو ذلك من سفاسف الأهداف التي لا يراعون فيها مصلحة الدعوة والجهاد والإسلام ولا يتخيّرون الأنكى في كسر شوكة أعداء الله ، وإنما كان اختيارها فقط لكونها أهدافاً سهلة المنال ، ويقوم آخرون بتفجير صالات للسينما أو يخططون لتفجير منتزهات أو نوادٍ للرياضة ونحوها من الأماكن التي يقصدها فسّاق المسلمين فيحصدون بذلك عشرات منهم أو مئات ويُعاقبونهم بالقتل وليس ذلك بعقوبةٍ شرعية لمثل ذلك ... فيجمعون بين مخالفة الشرع والتخبط في الواقع .. ويستَعْدون بذلك عوام الناس الذين جمهورهم يتعاطف مع جهاد المسلمين في كل مكان ، فيخلطون الأوراق ويشتتون دائرة الصراع ... فبدلاً من التركيز على حرب الطواغيت وأعداء الدين في كل مكان تنقلب الحرب والحراب إلى جماهير الشعوب التي كان ينبغي أن توجّه إليهم الدعوة ويُسعى لإنقاذهم من براثن الطاغوت وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ....

وبينما يتابع الناس أخبار المقاومة في العراق وكيف تحصد كل يوم من تحصده من الأمريكان وكيف تبث روح القتال والمقاومة في الجماهير المسلمة وتتسبب بالإحراج لبوش وإِدارته وتحبط مخططاته وتطلعاته ..

يفاجئنا البعض بعمليات عجيبة وغريبة تحصد عشرات العراقيين هنا أو هناك بسيارات مفخخة توقف في شوارع بغداد أو بقذائف الهاون ترمى على السجون لتحصد عشرات العراقيين من المارة أو المسجونين ...

ويُجمع العقلاء بعد ذلك على أَنهم بأعمالهم العشوائية هذه المتخبطة بين الجهل بالشرع والجهل بالواقع ينقذون الرئيس الصليبي بوش من ورطته التي ما فتئت تعيّره بها وسائل الإعلام العالمية كل يوم ، فتتحول من الحديث عن القتلى البريطانيين والأمريكان الذين تحصدهم المقاومة كل يوم ؛ إلى الحديث عن القتلى العراقيين على أيدي من تصفهم بالإرهابيين ، وينقلب جنود الإحتلال الأمريكي من جنود احتلال وغزاة إلى حُماة للشعب العراقي من الإرهابيين ويتحولون إلى مكافحين للإرهاب ... !!

ويُستعدى الشعب العراقي فبدلاً من تعاطفه مع المجاهدين والمقاومين تراهم يلعنونهم ويسبّونهم ويسعون لتسليمهم إلى الأمريكان ...

يا قومنا إن الفقه بالشرع والفقه بالواقع ومعرفة مكائد الأعداء والتبصّر بمكرهم يعين المجاهد على اختيار الهدف المناسب في المكان المناسب والتوقيت المناسب ...

وإذا أهمل المجاهد هذا ؛ أصابته المعرّة في جهاده وحصد المفاسد بدلاً من المصالح ، والفشل بدلاً من الفلاح وربما استثمر عمله واستفاد منه أعداء الدين ..

فكم من العمليات لسوء اختيارها وتوقيتها في ظرف من الظروف يُفيد منها طواغيت أو صناديد للكفر فتخرجهم من ورطات وتنتشلهم من إِحراجات وتمنحهم التبريرات والمسوغات لمزيد من القمع والبطش والاستبداد دون أن تقدّم أدنى فائدة أو مصلحة للدين ...

بل إن بعض تلك الأعمال الساذجة قد تعين في نجاح انتخابي لطاغوت كان على وشك السقوط .. أو تلفت الأنظار عنه

وتخرجه من أزمة أو نكسةٍ كان متورطاً بها وربما حصد بعض ضباط المخابرات وجلاوزتهم ببركات أعمال سطحية متخبطة أو فاشلة كهذه الرتب والمكافآت والصلاحيّات ؛ فيتسلقون إلى أمجادهم الطاغوتية على ظهور هؤلاء الشباب ، وفي المقابل يحصد المسلمون منها حزناً وإِحباطاً بتكرار التخبّط واجترار الفشل والأخطاء نفسها ..

ولذلك عُرفت عنّي عبارة أكررها على مسامع كثير من المتحمسين :

(إما أن تشتغلوا صَحْ ، أو فلا تشتغلوا والزموا الدعوة فكفانا فقد شبعنا تخبيصاً) !!

يا باريَ القوسِ برياً لست تحسنُهُ لا تفسدنها وأعطِ القوس باريها

فهل يتنبه المجاهدون لمثل هذا ....

وهل يتبصّرون بشرع ربهم وبواقع أمتهم ليكونوا بالمستوى الذي يليق بالجهاد الإِسلامي العظيم ويحقق آمال المسلمين ..

قد هيّئوك لأَمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الوقفة الثالثة

ويقللكم في أعينهم

العاقل من يكمن في ضعفه ويتصبّر حال قلّة عدده وعدّته ، ويتتبع عورات عدوّه من غير أن يشعره ، ويمكر به دون أن ينبّهه ليأمن مكره ويتقي كيده ويتحيّن غَرَّته ، فإن التهويش والتهديد قبل الأوان يُنبّه العدو لِيُعِدّ عدته ، وصاحبه كمستعرض الهواء بنبله قبل موعد الرّمي ، أو كمنبّه الطريدة قبل رميه لها ...

ومن بالغ في التهديد وأكثر من الوعيد استخف به عدوّه فإن التهديد والوعيد لا يجرح نفساً ولا ينكأ عدواً ، والإكثار منه يُسقِط المهابة ويفرغ المصداقية ، ومن أراد أن يكون داهية فلا يُعرِّفَنَّ العدو بدهائه فإن من عُرِف بالدهاء حذره عدوه ، حتى يمتنع منه الضعيف فضلاً عن القوي ...

حربُ المستضعفين دوماً لا تعتمد على كثرةِ العَدَد ولا العُدَد ، بل تستغل نقاط ضعفِ العدو ومكامن غفلته وغِرّته وتختار الضربات القاصمة في الأوقات الحاسمة ، ولكن بعض من لا يفقه هذه الحقائق يُحِبُّ أن ينتفش بريشه ويُعطي لنفسه حجماً أكبر من حجمها الحقيقي ، فيترتب على ذلك أن يحسب له العدو ألف حساب ولا يكتفي بمتابعته ورصده بأجهزته الأمنية المحلية ، بل ويستنصر عليه ويستعين بأوليائه في أنحاء الأرض ليكبح إِرهابه الذي يصيّرونه إرهاباً عالمياً بل كونياً !!

ولو كان صاحبنا عاقلاً مافرح بهذا التضخيم المتعمّد من قبل الأعداء إذ من السذاجة الفرح بمبرّرات قمعه ، ومن السَّفه إعانة الأعداء على تكريس أكاذيبهم التي تُعظّم خطره ليألّبوا العالم عليه وليتآزروا على استئصال خطره ، وقد يُصاب المسكين بلوثةٍ من الغرور فينسى حجمه الحقيقي ويُصدّق تضخيم أعدائه له فيمسي يتصرف وكأنه فعلاً كما يصفه أعداؤه ويبدأ بإِطلاق التصريحات النارية والتهديدات العريضة بالويل والثبور وعظائم الأمور وكأنه القعقاع بن عمرو أو قتيبة بن

مسلم أَول جيشه في بغداد وآخره يشق سور الصين العظيم ، والأمر ماسترون لاماتسمعون ، وسترون ناراً ودخاناً وتخبيصاً وسخاماً ، فيغرر بذلك بأتباعه ويغدون يتصرفون وكأن أَزِمّة العالم أصبحت بأيديهم حتى ليصدق عليهم قول الشاعر ...

" إنّ الزرازير لما طار طائرها   توهمت أنها صارت شواهينا "

وينكشف الغبار بعد ذلك عن فقاعات كفقاعات الصابون التي ينفخها الغلمان فتكبر وتكبر ثم تطير وترتفع ثم لاتلبث أن تتلاشى فجأة ..

ولو كان يحترم جهاده ودعوته لما تكلّم وَلَاسْتَعانَ على قضاء حوائجه بالكتمان ...

فإنّ من هيبة القائد ومصداقيته أن لا يتوعّد إلا ويديه ملئى بما يتوعد به حتى لايصبح وعيده كتلك الفقاعات ..

ومن علامات نجاحه وفلاحه أن لا يعطي نفسه أكبر من حجمها ، وإن كان جاداً في العمل صادقاً مع نفسه أخفى ماعنده فيبدو وكأنه ليس على شيء حتى إن عدوه ليهمله ويستصغره ولايعدّ له العدّة المناسبة ..

وقد قيل ((من استصغره عدوّه اغترّ به ومن اغترّ به عدوّه لم يسلم منه)) .

حتى إذا ماأخذ عدوّه (أخَذَهُ أَخْذَ سَبُعَة) .

قال تعالى في وصف الأمر قبل غزوة بدر : (ويقلّلكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا) الأنفال (44) .

وكان هذا في ابتداء القتال ، حتى قال أبو جهل مستخفاً بالمؤمنين : (إنما هم أكَلَةُ جزور [1] خذوهم أخذاً واربطوهم بالحبال) فلما التحم الصفّان وأخذوا في القتال واستأسد

---

[1] يعني هم قليل لايتعدى عددهم عدد أكلة بعير واحد .

المؤمنون بشباتهم ، عظموا في أعينهم وكثروا ، كما قال تعالى : (يرونهم مثليهم رأيَ العين (.

اللهم فقّهنا في ديننا وبصّرنا بواقعنا واكبت عدونا .

الوقفة الرابعة

(ولتستبين سبيل المجرمين)

لايليق بمن يواجه أعداء الدين ويسعى لتقويض باطلهم أن يُهمل معرفة حكم الله فيهم قبل ذلك ، فيكون أعمش في نظرته إِليهم يُحسن الظنّ بهم أو يظنهم داخل دائرة الدين ...

أعرف شباباً دفعهم الحماس إلى السعي إلى الجهاد واقتناء السلاح والتخطيط من أجل ذلك ثم لما تم اعتقالهم صُدِمتُ عندما عرفت أنهم تعاملوا مع من اعتقلوهم وكأنهم مسلمون ؛ يصدّقون وعودهم ويتحرجون من الكذب عليهم أو مخادعتهم في التحقيق ... فصدَقوا في اعترافاتهم وأدلوا لهم بها بالتفصيل الممل ظناً منهم أنهم بالمؤمنين رؤوفون رحيمون .. فكان أن نالوا بتلك الإعترافات أحكاماً جائرة ظالمة طويلة في السجن ... فعدم معرفتهم بسبيل المجرمين وحكم الله فيهم وعدم تبصّرهم بإخلاصهم لأوليائهم الكفار وبأنهم لايرقبون في مؤمن إلاَّ ولاذمة ، وجهلهم بمكائدهم وغدرهم بالمجاهدين وأن الأصل فيهم وفي أخلاقهم الغدر والكذب والخيانة جعلهم يثقون بهم ...

وأعرف أحد حفظة كتاب الله من ذوي الصبر والجلد أُوذي وضُرِبَ وعُذّب عذاباً شديداً كي يعترف اعترافات سيحكم بها حكماً طويلاً بالسجن ، فثبت وأبى أن يعترف رغم الأذى والتعذيب الشديد الذي سُلّط عليه ثم إنهم لجؤوا معه إلى الحيلة والغدر ... فقد كان الأخُ قبل اعتقاله إِماماً لأحد المساجد فحوّلوه إلى محقق كان يصلي خلفه في مسجده فعرّفه بنفسه وذكّره بصلاته معه في المسجد وأقسم له الأيمان المغلّظة ليُساعدنّه إن اعترف وأن لا يحيله إلى المحكمة فاعترف الأخ لذلك المحقق بناءً على وعوده له دون أن يمسّه بضربة واحدة بعد أن كان ثبت ولم يعترف تحت عذابٍ قلّ من يتحمّله ، فنالوا منه بالحيلة والمكر والوعود والأَيْمان الكاذبة مالم ينالوه منه بالأذى والتعذيب .. فكان جزاء ثقته بهم وتصديقه لوعودهم وعهودهم أن حُكِمَ بالسجن المؤبد ...

طبعاً هذا الأخ لم يكن قبل ذلك يكفر هؤلاء المجرمين وربّما لأَنه لم يكن مستبيناً لسبيل المجرمين كانت صلاة ذلك المحقّق تعني عنده الشيء الكثير ...

وهذا خطأ عظيم كلّفه إلى اليوم عشر سنين فكّ الله أَسره ...

وأعرف شاباً وجد قنبلة في غابة فأخذها إلى بيته ثم وفي لحظة غباء قاتلة قرّر أن يصير مواطناً صالحاً - كما يقولون - !!

فذهب إلى مركز الشرطة الذين يُحسن الظن بهم بالطبع ولايكفّرهم فذكر لهم أنه عثر على قنبلة في غابة وهي في بيته ويودّ منهم أن يحضروا ليسلمها لهم ...

فطلبوا منه أن ينتظرهم في بيته وأنهم سيحضرون لتسلّمها بعد ساعة ... وبالفعل حضروا بعد أقل من ساعة ... !! ولكن بأعداد غفيرة من رجال الشرطة والقوات الخاصة والمخابرات والسيارات المسلحة وحاصروا البيت وداهموه وفتشوه واعتقلوه مع قنبلته ..

وسجّلوا بحقه قضية حيازة قنابل ومتفجرات بصورة غير مشروعة ولم يذكروا في حيثيات القضية أنه هو الذي أبلغهم عن القنبلة وطلب حضورهم لتسلّمها ، بل ذكروا أن رجال المخابرات والشرطة اكتشفوا بحنكتهم وخبرتهم وتتبعهم ، حيازته للقنبلة وحموا المجتمع من خطر وشيك ، فحكم بناءً على ذلك بالسجن سبع سنين ..

وأعرف آخر كان يعيش في الجزيرة حيث مشايخ السُّلطان ينهون دوماً عن تعلم أحكام التكفير وينفّرون عنها ويحذرون منها ... ويعدّون تكفير الحكومات وأنصارهم غلواً في الدين ومن طرائق التكفيريين وعقائد الخوارج ...فلم يُجهد نفسه في التعرّف على حكم الحكام وعساكرهم في دين الله فكيف إذا رأى بعضهم يصلّون ؟؟

أو رأى - وياللهول - على جبين بعضهم علامة السجود ؟؟

دفع الحماس صاحبنا للتفكير بالجهاد في سبيل الله بقتال اليهود في فلسطين فنجح بتهريب بندقيته الآلية إلى أن تسلّل بأعجوبة عبر النهر دون أن يتنبّه إليه أو يشعر به الجنود الأردنيون الحرس على حدود اليهود - طبعاً هو لايعرف أنهم حرس وعيون ساهرة على اليهود - وإلا لما كان ركن إليهم أو وثق بهم لذلك وبعد أن عبر النهر وشعر بالعطش الشديد وتذكر أنه لم يحضر معه ماء عاد فرجع القهقرى وذهب إلى موقع حراسة لأحد أولئك الجنود ليطلب منه الماء ببلاهة وسذاجة .. واطمأن إلى ذلك لمّا وصل إلى موقع الجندي فوجده يصلي .. وبعد أن أنهى الجندي صلاته ورأى صاحبنا والبندقية بيده سأله عن شأنه فما كان من سطحية صاحبنا إلّا أن ذكر له مقصده ، وطلب منه الماء فأعطاه الجندي الماء ثم طلب منه أن يريه بندقيته - وهنا أتوقف وأقارن وأتذكر أبا بصير رضي الله عنه وفطانة المؤمن وكيف طلب بدهائه من آسريه أن يرياه سيفهما فقتل أحدهما وكان في ذلك نجاته - أما صاحبنا فأعطى بسذاجته وسطحيته بندقيته للجندي المصلي ووثق به !! فكان في ذلك عطبه ... حيث بادر الجندي إلى إطلاق النار من البندقية بدعوى تجريبها ... والحقيقة أنه أراد بذلك استدعاء وتنبيه قيادته فجاؤوا إلى موقعه يهرعون واعتقلوا الأخ الذي أحيل إلى محكمة أمن الدولة وحكم بالسجن سبع سنين ...

هذه الحكايات ياإِخواني أقسم بالله أنها حقيقية موجودة في سجون بلادي وليست هي من نسج خيالي وأمثالها كثير ... والمآسي التي نتجت عنها كان سببها في الغالب حسن الظنّ بأعداء الدين وعدم استبانة سبيل المجرمين ، وعدم معرفة واقعهم الإِجرامي ومكرهم بهذا الجهاد وكيدهم لأهله وموالاتهم لأعداء الدين ...

فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .. ولاحرج عندهم من سلوك أيّ طريق شريفة أم غير شريفة لإحباط جهاد المجاهدين وحفظ عروش الظالمين ..

الأصل فيهم الكذب ، وسبيلهم الغدر والخيانة ..

(لايرقبون في مؤمن إلاّ ولاذمة وأولئك هم المعتدون ..)

(ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً)

(هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)

ومن لم يع هذه الأُمور ويعرفها ويستبين سبيل المجرمين فلا حاجة للجهاد بسذاجته وغبائه..

كما أنه لاحاجة له بمزيد من الفشل والإحباط ..

ومن يتّخذ الضرغام للصيد بازياً تصيّده الضرغام فيمن تصيّدا

الوقفة الخامسة

العشائرية ومنـزلق الركون إليها

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ألم يجدكَ يتيماً فآوى) أي : آواك إلى جدك الكافر ومن بعده إلى عمّك الكافر الذي كان يحوطك وينصرك ويمنعك ويكفّ عنك أذى قومك .

وقال سبحانه عن أعداء نبيه شعيب: (ولولا رهطك لرجمناك) (هود 91) وقد كان رهطه كفاراً ...

وقال تعالى في شأن نبي الله صالح ووليه الذي كان يدفع عنه: (قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإِنا لصادقون) (النمل 49)

فلا حرج على الداعية أو المجاهد إذا ناصره قومه الكفار أو دافعت عنه قبيلته أو عشيرته بدافع الجاهلية والقبلية.

ولا حرج عليه أن يستفيد من تأييد قومه له بروابط العصبية وأواصر النسب ما دام هو لا يعقد الولاء والبراء أو المودّة على أساس هذه الروابط الجاهلية ...

ومن جنس ذلك أن ينصره أويدفع عنه بعض الوطنيين أو الحقوقيين أو الديمقراطيين أو غيرهم ممن ينتهجون غير نهج الإسلام،ومثل ذلك لونصره ودفع عنه أوخدمه بعض مندوبي المنظمات الدولية الكافرة سواء كانت صليبية أم غير ذلك ممن يسعون ولو ظاهراً في تخفيف الظلم؛فلاحرج عليه في ذلك مادام هو يكفر ويبرأ من هذه المناهج المنحرفة والأديان الكفرية ولا يمتدحها أو يوالي ويعادي عليها ..

لكن الأمر الذي لا يحل له بحال ومقصودنا هاهنا التنبيه إليه والتحذير منه ... هو الركون إلى القبيلة أو أمثالها مما تقدم والاعتماد على ثقلها والوثوق بها ، فهذه الأواصر أو الهيئات لا حرج على المسلم إن سخّرها اللهُ له في وقت من الأوقات أوظرف من الظروف،واستفادمنها ، أما أن يركن إليها أو يُؤمّل بها ابتداء

ويعتمد عليها في جهاده فهذه منزلقات قاتلة عايَشْتُ أهلها .. وناصحتهم فقلّ فيهم المنتصحون ..

بذلتُ لهم نصحي بمنعرج اللوى *** فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فمنهم شباب يحركهم الحماس دون بصر بالشرع أو الواقع ، عهدهم بالجاهلية قريب لم يتحرّروا بعد من عنجهيتها وفخرها بأواصر القبلية .. حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يعتبر الأخذ بأسباب السّرية والكتمان عيباً أوجبناً وعاراً ..

وآخر يدفعه اتكاؤه على الواقع القبلي الذي يعايشه أن يُجاهر بحمله لسلاحه الآلي بل وقنابله يتجول بها بسيارته هنا وهناك يُريها لهذا ولذاك،ولا يأبه بالثرثرة لكل أحد عن أحلام يقظته وأمانيّه في قتال الأمريكان وتدمير قواعدهم في البلد،ومن ثم يتعجب أشد العجب عندما يواجهه أعداء الله في تحقيقاتهم بذلك كله؛ ويتساءل : كيف اطلعوا عليه ؟! وكيف وصلهم ؟! ويعزوا ذلك إلى إمكاناتهم الرّهيبة !! ووسائلهم الحديثة وجواسيسهم المبثوثين .. وو ..

ولايعزوه أبداً إلى تفريطه وغبائه وتخبّطه الذي يتناساه .

وكم كنت أذكّر أمثال هؤلاء وأعظهم بعدم الإِعتماد على ما عهدوه من قبل من غضّ الطواغيت طرفهم عن عشائرهم وحيازتها للسلاح وأنهم إنّما يفعلون ذلك معهم مادام ولاء العشيرة للدولة ظاهراً ، بل وفي بعض الدول يهدي الطواغيت السلاح المذهّب والمزيّن لمشايخ العشائر ورؤوس القبائل ، وماذلك كلّه إلا لمعرفتهم أن هذا السلاح لن يستخدم إلا لنصرة الدولة وتثبيت عروش الطواغيت مادامت القبيلة أو العشيرة منهم وولاؤها لهم ...

أما إذا ماغيّر ابن القبيلة ولاءه فصار ولاؤه للإسلام وأهله فقط،وصار من أنصار الدين وأظهر عداءه للطاغوت وتبرّأ من أوليائه أو سعى لجهاد أسياد الطاغوت الغربيين أو الشرقيين فعندها ستختلف الموازين وستنقلب الأمور وسيكشّر الطاغوت

ساعتها عن أنيابه لابن القبيلة بل ولقبيلته كلها إن فكّرت بإيوائه وحمايته .. كيف لا وكثير من هؤلاء الطواغيت قد تنكّر وانقلب على أقرب الناس إليه عند الحقائق فمنهم من أقصى أباه أو غدر بأخيه ونحى أقرب الناس إليه في سبيل مصالحه أو مصلحة نظامه أو لأجل مصالح أسياده؛فهل يعقل أن تقف عشيرة أو قبيلة عقبة عنده أو عائقاً دون ذلك ..

والحقيقة أن هذا أمرٌ ظاهرٌ معروف،وهو بيّن أيضاً في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد تنكّرت قريشٌ له مع أنه كان من أفضلها عشيرة وأشرفها أباً لمّا أظهر براءته من دينهم وأبدى عداوته لآلهتهم وسفّهها ، فلم يأبهوا بعشيرته بل تألّبوا عليها وحاصروا بني هاشم في الشِّعب وقاطعوهم وآذوهم ..

وهكذا فإن الطواغيت في كل زمان يعتمدون على القبائل في تثبيت عروشهم ، ويغضّون الطرف عن كثير من تجاوزاتها ومخالفاتها مادامت موالية لهم تقف في صفِّهم وتنحاز إلى عدوتهم .

أماحين تفكر بنصرة بعض أبنائها الذين يقفون في العدوة المواجهة للطاغوت _ وهذا نادر في زماننا _ فإن الطاغوت عندئذٍ لا يأبه بها بل سيدكها ويستبيح حرماتها كأن لم تكن مدلّلة عنده بالأمس،وقد عايش الناس ذلك في بلادنا ورأوا كيف دُكت قرىً ومدن بأكملها،وكيف أمست ساحة معركة اقتحمتها المدرعات ودكتها الطائرات عندما حاولت أن تأوي بعض أبنائها ورفضت تسليمهم للدولة،وكنت أسمع أعداء الله يسبّون أولئك الشباب وعشائرهم بأقذع الألفاظ وأحط السباب ويقولون:عندنا خطوط حمراء إذا تجووزت فلا نسأل بعشيرة ولا بغيرها ..

ولا أشك أن من أهم هذه الخطوط الحمراء وقبل المسّ بعروشهم؛محاولة المس بأمن أسيادهم الأمريكان ..

ولا تتعجب بعد ذلك وبعد أن تُدك مدن بأكملها ؛ أن تخرج عشائرها معلنةً ولاءها للنظام وانحيازها لسياساته ببراءتها من

الخارجين عليه المخالفين لقوانينه ولو كانوا من أعز أبنائها ، فإنه زمن الخنوع والإنكسار ..

أفلمْ يأن لإِخواننا أن يعوا هذا الدرس .. وأن ينزعوا على عتبة الإسلام عنجهية الجاهلية وركونها إلى العشائرية أو حُسن ظنها بالقبلية ..

ويتبصّروا بحقيقة هذه الطريق وطبيعة هذه الدَّعوة ؛ وأنها فرقٌ بين الناس .. وفرقان بين الحق والباطل ، لها تصوراتها الخاصة ووشائجها النقية ..

ولا تصلح وشائج الجاهلية ولا تصمد أمام تكاليفها وتبعاتها ..

فلا يحلّ للعاقل أن يعتمد عليها أو يتكىء على ثقلها أو يركن إِليها ...

الوقفة السادسة

والله ماهَزُلَتْ فيستامها المُفْلِسون

هذه الدّعوة دعوة عظيمة ، وهذا الجهاد سلعة غالية نفيسة لايُوَفّقُ لحملها إلا من أخذها بحقّها فَتَبَصَّرَ بحقيقتها وعرف تكاليفها وأحاط بشرعها وواقعها علماً ...

(قل هذه سبيلي أدعو إِلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

فقد نبّهنا كلّ عاقل في بيان مِلّةِ إبراهيم أن هذه الطريق ليست مفروشةً بالورود والرياحين أو محفوفةً بالرّاحةِ والدَّعة بل هي محفوفة بالمكاره والأذى والإبتلاءات ، مزروعة بالدماء والسجون والمعتقلات ، وفيها مفارقة الأحباب وقطع الرّقاب ولذلك لايقوم بتكاليفها حق القيام إلاّ الليوث والصقور ، لا بُغاث الطيور أو الدراويش ..

لكنّ بعض من لم يفقه ذلك ولا رفع به رأساً ولم يتبصّر بكيد أعداء الدين وبضراوة حنقِهم من هذه الدَّعوة وحقدهم على هذا الجهاد ومكرهم بأهله ، ربما تزيّى بها وانتسب إليها دون أن يكون كفؤاً لها فيظن الغر أنها نزهة يتنزّهها أو أنها لعبة يتسلى بها ...

فيقتحم غمارها ويعبر إلى ميدانها دون أن يتبصّر بها أو بأركانها ودون أن يعرف حقيقتها وحقيقة تكاليفها .. ودون أن يستبين سبيل أعدائها ...

ثم تكون الصدمة عنيفة عليه قاصمةً لظهره وقد تكون قاضية إذا ماابتلي ببعض تكاليفها فتكون الإنتكاسة ويرتد على عقبيه ... كم شاهدت من مآسٍ في السجون خصوصاً في بعض تلك القضايا التي يُضخّمها أعداء الله ويظهرونها على أنها قضايا إرهابية خطيرة ويكون أفرادها في كثير من الأحيان شباباً صغاراً أو أغراراً لا يشكلون خطراً حقيقياً على الطواغيت أو على أسيادهم الأمريكان ، ويعرف العدو ذلك ولكنه مع ذلك يأبى إلا أن يضخمهم ويُكبّرهم ويُعظّمهم ليتسلق على ظهورهم ويقبض ثمن

إحباطه لمؤامراتهم الفظيعة المزعومة وإفشاله لمخططاتهم الرهيبة التي أكثرها من أحلام اليقظة ونسج الخيال ، ولِيَئِد مثل هذه الأحلام في مهدها مخافة أن تتسع مدارك أصحابها ويتطوروا فيطوروها إلى حقائق ...

حتى بلغ الأمر أن اعتقلوا شاباً متخلفاً عقلياً وضبطوا معه لعبة أطفال على هيئة مسدس وَصَرَّح لهم ذلك الشاب بتفكيره وحلمه بقتال اليهود فاعتقلوه فوراً ووجّهوا له تهمة المؤامرة الإرهابية وحُوِّل إلى مدعي عام محكمة أمن الدولة الذي أوقفه في السجن عدّة شهور ولم يصرِّح كفالته إلا بشق الأنفس مع شهادة القاصي والداني بتخلفه العقلي ...

هذا الشاب كان سبب اعتقاله أنه سأل جندياً عن الطريق المؤدية إلى فلسطين فلما استفسر منه الجندي عن سبب سؤاله صرّح له مباشرة بحلمه الذي يحلم به فما كان من الجندي إلا أن اعتقله وسلمه لأسياده ، وتحت الضرب والتحقيق كي يعترف عن السلاح الذي كان سيقاتل به اليهود دلهم على مسدس لعبة كان يخفيه في بيته يريد أن يجاهد به اليهود ...

هذا الشاب لا لوم عليه فهو ممن رفع عنهم القلم ....

لكن اللوم يتوجه إلى بعض المتخلفين ممن رزقهم الله نعمة العقل لكنهم لم يتعلموا ولم يتربوا ولم يتأهلوا شرعياً ولا نفسياً لتكاليف هذه الدعوة الغالية ولم يحيطوا علماً بخبث أعدائها ولم يتبصّروا بسبيلهم وأساليبهم الخبيثة في المكر والكيد للدعاة والمجاهدين ، دافعهم الحماس الأجوف وحده ، لم يجدوا من يوجههم إلى تعلم دينهم وعقيدتهم وتوحيدهم .. فهم لا يكلفون أنفسهم الجلوس في حلق العلم أو العكوف على كتبه إذ ليس من أولوياتهم طلب العلم الشرعي أو التبصر بواقع المسلمين ولم يستفيدوا من خبرات أو تجارب غيرهم ممن سبقوهم في هذه الطريق ويصرّون على اجترار الأخطاء نفسها التي وقع بها أقرانهم مع أن السعيد من وُعِظَ بغيره ...

بعضهم يجلس في الشوارع ساعات طوال يُضيع وقته بالدردشة واللهو واللعب بل والتدخين ... فإذا سقط في أيديهم مسدس بدؤوا يفكّرون بأي عمل يقومون به أياً كان ذلك العمل ... وربما بسبب الفراغ الإجتماعي وقلة ذات اليد والفراغ الفكري أيضاً والفراغ من الهمة العالية .. ربما قادهم تفكيرهم إلى السطو على بيت امرأة عجوز بدعوى أنها بغي أو بدعوى أنها مشبوهة ، أو الإغارة على دكان وسلب مال صاحبه بحجة أنه يتعاطى الخمور أو يبيعها ، ولا تقلق على الدوافع والبواعث فسيجعلها صاحبنا إسلامية نقية فالمال ليس لدخّانه ولا حتى لطعامه وشرابه كلّا وحاشا ؛ بل هو لتمويل جهاده الذي يتراءى له في أحلام اليقظة ...

وذلك السطو وهذه الإغارة ليست سرقة ولاغصباً ، بل هي جهاد وإعداد في سبيل الله !!

الحزم واجب على صاحب الدعوة ولابد منه مع هذه الفئام من الناس ، والوضوح معهم منذ أول الطريق ضرورةً لا يَسْتَهْتِر بها من يحترم وقته وعمره ودعوته ، وإذا لم يكن صاحب هذه الدعوة الغالية وجهادها المبارك حازماً معهم جرجروه وأشغلوه وأضاعوا جهده ووقته ، ولوثوه ولوثوا دعوته وجهاده بقضاياهم العجيبة الغريبة التي سيحاكمون عليها في خاتمة المطاف وستجد في لوائح اتهاماتهم غالباً تناقضاً صارخاً ، وأشياء تحزن المؤمنين وتفرح أعداء هذه الدعوة وتقر أعين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتعينهم على تشويه الدعوة والطعن فيها ، وتجعل لهم سبيلاً وأي سبيلٍ على المؤمنين ، ويتعجّب المتابعون لمثل هذه القضايا ، فهم يرون المتهمين فيها ملتحين ويُجاء بهم إلى المحاكم وهم يكبرون ويهللون ويهتفون بهتافات إسلامية ... ويرى التهم الموجهة إليهم متناقضة لا يجمع بينها جامع فتجد فيها المؤامرة الإرهابية والتنظيم المسلح ومضافاً إليها السَّرِقة أو السطو أو السلب وخيانة الأمانة !! وأنا هنا لا أحسن الظن بقوانين أعداء الله التي عادةً تُسمي الأشياء بغير مسمّياتها .. كما لا أبرئ أعداء الله من تلفيق التهم والكذب والإفتراء ؛ فالأصل فيهم كما قدمنا الكذب والخيانة وهم لا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمّة وأكثرهم من الذين يحبون أن تشيع

الفاحشة في الذين آمنوا ... ولكن في الوقت نفسه وحتى أكون صادقاً مع نفسي ومع إخواني في النصح والإصلاح والتغيير لا أبرّئ بعض هؤلاء الشباب ، فأنا لا أتكلم من فراغ أو من خيال بل أتكلم من واقع سجوني عايشته وقد رأيت وسمعت وعايشت من قد جعلوا بتخبّطهم للكافرين عليهم سبيلاً وأي سبيل ؛ وذلك بتورّطهم بتهم وأعمال تنمّ عن جهلٍ في شرع الله وغفلةٍ أي غفلةٍ عن واقع المسلمين اليوم ... جهل في الشرع يدفعهم إلى التورّط بأعمال مشبوهة واستحلالٍ أموالٍ حقيقتها أنها معصومة حتى ولو كان أصحابها فسّاقاً فجّاراً ... وجهل في الواقع يجعلهم يتخبّطون تارةً في اختيار أهداف عجيبة تجعلهم أضحوكة للناس وتجعل الدّعوة والجهاد هدفاً لسهام الطاعنين والمستهزئين ، وتارةً أهداف تسوّغ لأعداء الدين مزيداً من التسلّط على المسلمين دون أدنى نكايةٍ في أعداء الله أو فائدة تعود على الإسلام وأهله ...

ثم وبسبب ضعف التربية الإيمانية السابقة للبلاء أو عدمها ، تجد أكثر هؤلاء يضعفون ويخنعون حين يقعون بأيدي أعداء الله فبعضهم يستجديهم ويظهر التوبة والندم ويخاطبهم بلفظة (سيدي) وبعضهم يلعن ويطعن في إخوانه ويبرأ منهم ، فأي جهاد هذا الذي لم يتهيأ أصحابه لتكاليفه ولم يتبصّروا بحجم تحدياته ، فصاروا ألعوبة بأيدي أعداء الدين ، فمنهم من انتكس أو حاد عن الطريق ومنهم من استعمله أعداء الله بعد ذلك عيناً على إخوانه ، وقليل منهم المتعظون المعتبرون الذين ثبتوا وما بدلوا تبديلا ..

أولم يأن لهؤلاء أن يرتقوا إلى مستوى هذا الجهاد العظيم ويكونوا أكفاءً لحمل هذه الدعوة الغالية .. ويكونوا على مستوى كيد أعداء الله لأهل هذا الدين فهم لايتعاملون أبداً حتى مع غلمان المسلمين الذين قد يتورطون بشيء مما سلف ذكره أو غيره على أنهم فتيان أو غلمان أو يافعون ، كلاّ بل يكيدون لهم ولكل منتسب لهذه الدَّعوة مهما تضاءل خَطره أو صغر سنه ، ويحاربونهم ويتعاملون معهم على أنهم إرهابيون خطرون يستهدفون اقتلاع أنظمتهم الكافرة من جذورها ، ودك عروشهم الفاسدة من أصولها وحرق أسيادهم واستئصالهم ... فيشمرون

لهم ويأتمرون بهم ويكيدون ويرصدون ويعدّون لهم ويتعاونون ويتآمرون

فمتى نكون حقاً كما يحسب لنا أعداؤنا ويظنون ...

ومتى نصير بالمستوى الذي يعشعش الرُّعب بفطنتنا وإتقاننا وحذقنا في قلوبهم حقاً وفعلاً ... لا تلبيساً منهم وتدليساً .. ؟؟

الوقفة السابعة

السجن جَنّات ونار

السجن بلاء إما أن يُثمر أو يَكسر أو يُعكر..

هذه المقولة نردّدها نحن خريجو السجون كما يحلـوا للبعـض تسميتنا وهـي مقولـة تكرّسـت مـن مشـاهداتنا فـي السـجون ، ولذلك فهـي تصـف حقيقـة السـجن وآثـاره المتباينـة علـى مـن يدخلونه ويعيشون في أقبيته وبين قضبانه ويمكثون فـي زنـازينه ويعايشون ساحات تعذيبه.

ومن لم يعايش ذلك ويعرفه عن قـرب فقـد يعجـب أو يفاجـأ بما يصدر عن كثير من رواد السجون من تقلبات أو تصريحات..

أمـا مـن عايشـه وذاق ويلات بلائـه وصـنوف الأذى وفنـون التعذيب في ساحاته فربما تروّى وتريّث قبل أن يطلـق أحكـامه على بعض أهله إن بدرت منهم بعض التصريحات العكرة أو حتى المنكسـرة ، ويـتريّث فـي متابعـة فتـاويهم المناقضـة لمنهجهـم والتي قد تصدر تحت الإكراه..

فالسجين قاصـر الأهليـة لمظنـة تعرضـه للضـغط والإكـراه ؛ ولذلك لا يحـل أن يحمـل المسـؤولية الكاملـة عـن أقـواله حـتى يخرج من الأسر والقيد فيبين عن أقواله مختـاراً دون أي ضـغط أو إكراه ؛ ويتأكد ذلك في مشايخ التيار الجهادي لضـراوة عـداوة الطواغيت لهم وشدة ضغطهم عليهم.. فبدهي أن شدة عداوتهم لمـن جـرّد سـيفه فـي وجـوههم أو حـرّض علـى ذلـك ليسـت كعداوتهم لغيره..

ولذلك نصحنا كـل مـن زارنـا وراجعنـا بمـا صـدر عـن الشـيخ الخضير والشيخ ناصر الفهد وأمثالهم من المشايخ بعدم الإغترار بمـا صـدر عنهـم مـن الفتـاوى أو التراجعـات فـي الأسـر أولا ، والتريث ثانيا وعدم إطالة ألسنتهم في أعراض هؤلاء المشـايخ ،

والدعاء لهم بأن ينجيهم الله من كيد الطواغيت والتريث إلى أن يفك الله أسرهم.. .

ولذلك كففنا ألسنتنا عن قيادات الجماعة الإسلامية في مصر لما خرج عنهم ما خرج من تراجعات في السجون تحت مسمى المراجعات ولازلنا إلى اليوم نتحفظ في كلامنا على من لا زال منهم في الأسر ونحفظ لهم سابقة دعوتهم وجهادهم وبلائهم في الله ، بخلاف من قد خرجوا أو كانوا بالخارج أصلاً فقد ساءنا إخلاد بعضهم إلى الأرض وما نسب إليهم من انتكاسات كما ساءنا جداً هجومهم على إخواننا المجاهدين في القاعدة ومبادرتهم بالتبري منهم ، ودعوتهم إلى التوبة مما يقومون به من عمليات جهادية ؛ وكأنهم قد اقترفوا منكراً من الفعل وزوراً ؛ معتمدين في التشنيع عليهم بدعاوى قتلهم للمسلمين واستهدافهم لمكة والمعتمرين ؛ على المعلومات التي تعلنها الحكومات الكافرة ويروجها إعلامها الخبيث , مع أنهم أنفسهم قد جربوا كذب هذه الحكومات وإعلامها وقد اكتووا بناره من قبل !! وإلا فهل يصدق مسلم عاقل أن مجاهدي القاعدة وأمثالهم من المجاهدين يمكن أن يستهدفوا المسلمين سواء كانوا في الرياض أو جدة أو غيرها ؛ فضلاً عن استهداف المعتمرين في مكة البلد الحرام ؟! اللهم إلا إذا كانوا يعدُّون عملاء السي آي إيه والإف بي آي الذين قد طفحت بهم الجزيرة من المسلمين , أو أنهم يقصدون بالمعتمرين الطواغيت الذين يعتمرون لالتقاط صور يروجونها على شعوبهم وللتضييق على المسلمين في مناسكهم.. .

أعتذر للقارئ عن هذا الاسترسال , وأرجع إلى ما كنا فيه.. .

- نعم السجن قد يثمر ثمرات عظيمة عندما يوفق صاحب الدعوة أو المجاهد في استغلاله في طاعة الله وعبادته وحفظ كتابه وطلب العلم ونشر الدعوة , والاستفادة من تجاربه وتجارب الآخرين ليخرج منه أصلب مراساً وأشد تمسّكاً بدعوته وثباتاً على جهاده ومنهاجه.

- وقد يكسر بأن ينقلب المرء على عقبيه فيجعل فتنة الناس كعذاب الله فيبدّل ويغير ويتراجع ويُخلد إلى الأرض بعد أن عرف الحق وأبصره وسار على الدرب وتبيّنه.. فيغدو يُلبس الحق بالباطل وينحاز إلى عدوة أعداء الدين ، وصور ذلك كثيرة ومتنوعة ، نسأل الله العافية والسلامة وحسن الختام.. .

- وقد يُعكّر.. والمعنى أنه قد يحرف المرء عن الجادة بحسب طبيعة المرء ، فإن كان إلى الشدة أميل انحرف به القيد والكبت والتعذيب إلى الغلو ، ومن كيس هؤلاء خرج الفكر السجوني التكفيري الذي كفّر الخلائق بالعموم والمجتمعات بالجملة ، وصار التكفير عندهم لا يتّبع الدليل بل عبارة عن ردود أفعال انتقامية وتشنجية لا تستثني أحداً إلا من كان على طريقتهم واعتقد معتقداتهم بحذافيرها وإن كانت طبيعة السجين إلى اللين أميل انحرف به إلى التجهم والإرجاء العصري أو التفريط والمداهنة وتتبّع الرخص أو قل زلات العلماء وأخطائهم وتبنيها لا عن قناعة وتفهّم واستدلال ؛ بل لمناسبتها لرغباته وتوجهاته التي مال إليها في ضيق السجن ، وبنات أفكاره التي ارتضاها وانحرف إليها عقله المعيشي لشدة القيد.. .

هذه كلها آفات عايشنا أهلها ، ونجانا الله تعالى بفضله ومنّه وكرمه وإحسانه وتوفيقه وتثبيته وحده ؛ من أهل الإفراط وإفراطهم وأهل التفريط وتفريطهم..

أضف إلى هذا أن فتنة السجن وأذى أعداء الله فيه تتفاوت تبعاً للبلاد المختلفة وضراوة التعذيب فيها ، وتبعاً لمجاهرة صاحب الدعوة بدعوته وعقيدته الحقة ، وتبعاً لمدى قربه من التيار الجهادي الأشد عداوة للطواغيت , وأيضاً تبعاً للمراحل التي يمر بها المعتقل , فأول أيام الاعتقال حيث الحبس الانفرادي والتحقيق المتواصل وساحات التعذيب ومنع الاتصال مع العالم الخارجي , هذه الظروف أشد من ظروف السجين بعد استقرار أمره ونقله إلى السجن العام ، حيث يتيسر اتصاله بالناس.. .

ومعرفة تفاصيل هذا كله ، وفي أي المراحل والظروف صدر ما صدر عن المعتقل يمكن من خلاله تقدير مصداقيته وقيمته.. وعلى كل حال يبقى السجن عموما مظنة للضغط والإكراه فالسجين ما دام في القيد والأسر فهو عرضة لتقلب ظروفه ونقله وتحويله إلى سجن آخر وتعرضه إلى ضغوط مفاجئة ، وغير ذلك من الأحوال التي يجب مراعاتها والنظر فيها عند تمحيص ما يصدر عن السجناء من فتاوى وتصريحات.. ويتأكد ذلك إذا جاءت مناقضة لنهجهم وسيرتهم الأولى..

أذكر هذا لمن لم يعايش السجون وفتنها ليعرف ويتبصر بحال ما يصدر عن السجين فلا يتعجل بالحكم عليه , أو يتضرر بتقلباته في السجن أو تراجعاته إذا كان شيخاً أو متبوعاً , وإن كان الأولى فيمن كان كذلك أن يأخذ بالعزيمة ولو قُطّع ولو حرّق , وأن يختار القتل والأذى والهوان في سبيل صيانة دينه وعدم التلبيس على الأمة ويتأكد ذلك في حق رموز التيار الجهادي في زماننا لأنهم أقل من القليل والناس تنظر إليهم في خضم الملحمة الدائرة بين الإسلام والكفر ويسمعون ما يقولون , ولهم في ذلك قدوة وأسوة بمن سبقوهم كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام النابلسي الذي سُلخ جلده ليبدل فتواه في قتال العبيديين المرتدين فلم يفعل حتى قُتل رحمه الله وأمثالهم ممن رفع الله ذكرهم بثباتهم على الحق..

ولا يغفلوا عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وليتذكروا دوماً حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما شكا له بعض أصحابه أذى المشركين في مكة فقال : (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها , ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين , ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه , ما يصده ذلك عن دينه.. .الحديث) رواه البخاري.

ومع هذا فلا بد من اعتبار ما قدمناه حتى لا يبادر المرء بالطعن في إخوانه المبتلين أو التضرر بتصريحاتهم وفتاواهم التي تصدر من وراء القضبان , بل يتأملها فإن كانت على ما

كانوا عليه من الحق من قبل فبها ونعمت وإن تغيّرت إلى الإفراط أو التفريط لم يبادر إلى الثلب والطعن على قائلها حتى يعرف ظروف قوله لها ، وليتريّث حتى يفرج الله عنه , فإن أصر في السعة على ما قاله في القيد فلكل حادث حديث.. وإلا فقد كفى الله المؤمنين القتال وحفظنا أخانا في غيبته ، فالأصل إحسان الظن بالمسلمين فضلاً عن أنصار الدين..

وأخيراً فقد قال تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) فهذه قاعدة من قواعد أهل الإسلام أن الله كتب على نبيه صلى الله عليه وسلم الموت (إنك ميت وإنهم ميتون) ولم يُعلّق دينهم بحياته ووجود شخصه بينهم , وإنما علّق قلوبهم به سبحانه الحي الذي لا يموت وبدينه وكتابه الذي لا يغسله الماء , ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فمن تعلق به فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها , وإذا كان ذلك كذلك بالنسبة لشخص النبي صلى الله عليه وسلم أعز الخلق وأحبهم إلى المسلمين , فغيره من البشر الذين قد تطرؤ عليهم إضافة إلى طوارئ الموت أو القتل ؛ طوارئ الردة والتغيير والتبديل من باب أولى أن لا يعلق المسلم دينه بأشخاصهم , والأصل فينا أهل الإسلام عموماً ودعاة التوحيد وأهل الجهاد على وجه الخصوص عدم التقليد , وعدم قبول قول القائل إلا بدليل شرعي..

قال تعالى لنبيه : (قل إنما أنذركم بالوحي).

وقال سبحانه : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء).

ودين الله غني عن العالمين : (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد)..

ولو شاء الله لانتصر من أعدائه بغير أنصار ورجال ، ولكن ليبلو بعض الناس ببعض ويتخذ من المؤمنين شهداء..

وهـذه الهـزّات يتميّـز بهـا أهـل الثبـات عـن أهـل الذبذبـة والإرجاف.. الظانين بالله ظن السوء الذين لا يزيدون الصـف إلا خبـالاً , فمـن كـان ينتظـر مثـل هـذه الهنّـات ليعلّـل بها تخـاذله ومفارقته للقافلة وتركه الصـف , فأبعـده اللـه وسـيزداد الصـف ببعده تماسكاً ورصّاً وثباتاً..

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتـم عليـه حـتى يميـز الخبيث من الطيب).

فمن كان يعبد المشايخ الخضير أو ناصر الفهد أو أبا قتـادة أو المقدسـي أو غيرهـم فـإن المشـايخ غيـر معصـومين ولا تـؤمن عليهم الفتنة , ومن كان يعبـد اللـه فـإن ديـن اللـه ثـابت راسـخ معصـوم لا يعـتريه التبـديل ولا التغييـر (إن ربـي علـى صـراط مستقيم) ومن علم الله منه خيراً وصدقاً ثبتـه وعصـمه , ومـن علم منه غير ذلك صفى الصفوف ونقاها منه ومـن أمثـاله بمثـل هذه الهزات..

(وإن تتولوْا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).

الوقفة الثامنة

" رفقاً بالقوارير "

الزجّ بنساء المسلمين لغير ما ضرورة في أعمال قتالية أو جهادية أو تنظيمية أو غير ذلك من المهمات التي يمكن أن يتولاّها الرجال أمرٌ لا يهجم عليه من يعرف واقع اليوم الإِجرامي الكفري ، ولا يتسرّع فيه من يعرف سفالة وانحطاط كفار زماننا ويهمه صيانة أعراض المسلمات ...

قديماً كان الكفار مع كفرهم ذوي نخوة ومروءة ... فعندما هرع أسافل خلق الله على بيت نبي الله لوط طمعاً في أضيافه وقال لهم عليه السلام : (هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم)... (قالوا ؛ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) ؛ فهم مع سفالتهم وانحطاطهم راعوا حق بناته سواء لأنهن بنات رجل من قومهم أو لأنهم يعرفون أنهنّ لا يحللن لهم لكونهم كفاراً ؛ وإِنما يقول لوط ذلك مشاغلةً لهم عن أضيافه ، أو لأيّ سبب المهم أنهم في نهاية المطاف رغم إِسرافهم وإجرامهم ورذالتهم لم يتعدّوا على بناتِه وراعوا حقهن لعلمهم أنه لا حق لهم فيهن ...

وعندما ائتمر مشركوا قريش ومكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه واقترح بعض سفهائهم أن يقتحموا عليه بيته رفض ذلك أبو جهل رأس الكفر رفضاً باتّاً واستنكره بشدة قائلاً : (أتريدون أن تعيّرنا العرب بأننا روّعنا بنات محمد) وقد كان شاعرهم يقول :

وأغض طرفي إِن بدت لي جارتي *** حتى يواري جارتي مثواها

ويقول الآخر :

وإن جارتي ألوت رياحٌ ببيتها *** تشاغلتُ حتى يستر البيت جانبه

أما كفار زماننا فهم لا يرقبون في مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إلاًّ ولا ذمة ، ويحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ..

وديدنهم قذف المحصنات الغافلات والطعن في أعراض المؤمنين والمؤمنات فحريٌّ بكل مسلم أن يصون المسلمات من دنس هؤلاء المشركين فلا يجعل لهم عليهن سبيلاً بتوريطهن بأعمال يُستغنى عنهن فيها بالرجال قد يتسلط أعداء الله بها عليهن .

وصور ذلك في زماننا كثيرة سواءً بتصديرهن في مقدمة المظاهرات والمصادمات مع الأنظمة كما تفعل كثير من الجماعات المتخبطة حتى شاهد الناس أعداء الله يضربونهن بالهراوات ويطاردونهن بالكلاب ، وبعضهنّ كنّ يُلاسنَّ الشرط فيتعرضن لأفحش الردود وأقذع السباب ... فهم قوم فُحش لا حياء عندهم ولا مروءة ..

أو بأن توكل إليهنّ أعمال تنظيمية أو يُخفى عندهن شيء من العتاد والسلاح أو التمويل ثم يعترف عليهن فَيُجَرْجَرْنَ أو يُزج بهن في تحقيقات يتسلط فيها عليهن أناسٌ سفلة أنذال يمتهنونهن أو يتطاولون عليهن ويُسمعونهن ما لا يقبله مسلمٌ أو حُرّ لكرائمه ، هذا إذا لم تتعدى الأمور إلى ما هو أخس وأحقر من سلوكيات أعداء الله ، وقد يُحلن إلى محاكمهم الكفرية وتنشر صورهن على شاشات تلفزتهم وعلى صفحات جرائدهم ويودعن سجونهم القذرة مع الساقطات والعاهرات ...

لا ينبغي لمسلم عاقل يعرف سفالة أعداء الله وقذارتهم أن يشحن بنات المسلمين بالحماس الأجوف ليزج بهن في مزالق توقعهنّ في براثن هؤلاء السَّفلة الأرذال ما دام في الرجال غنية عن ذلك ... ولا يجوز أن يُحتج لتسويغ ذلك بما قدّره الله أو يُقدره سبحانه من بلاء على بعض المسلمات ، ففرقٌ بين أن يتسلط أعداء الله على النساء لمجرد تديّنهن وإسلامهن كما جرى لبعض المستضعفات من المسلمات الأوائل وكما قد يجري على أمثالهن في كل زمان ممن لا يجدن وليّاً ولا يجدن نصيراً ؛ وبين أن يكون الدعاة أو المجاهدون بتخبّطهم سبباً في تسليط أعداء الله عليهن

وإعطائهم المبررات والمسوّغات لهتك سترهن وتوريطهن فيما لا تُحمد عقباه ، بل يجب على المسلم العاقل الحريص على صيانتهن أن يتجنب حتى ذكرهن بين يدي أعداء الله في التحقيقات وغيرها وأن لا يُحمّلهن أو يُكلّفهن من الأعمال ما قد يكون سبباً لتطرق التحقيق إليهن حتى لا يجعل للكفار عليهن سبيلا في الملاحقَة والمتابعة أو التحقيق فضلاً عن الإهانة والإِعتقال ... إذ هم كما قلنا سفلة منحطون لا يؤتمنون على عرض ولا يوثق بهم .

والخلاصة أن توريط نساء المسلمين في أعمال لا طائل تحتها أو الزج بهن في التحقيقات أو تحميلهن ما يمكن أن يتحمله عنهن الرجال أمرٌ لا يستمرئه مسلمٌ حرٌ عاقل خصوصاً في زمن الإستضعاف حيث لا دولة للمسلمين ولا دار يأوون إليها وترعاهم وتدفع عن أعراضهم ..

وإلى أن تكون الدولة التي تُجيِّش الجيوش الجرّارة لأجل صرخة مسلمة في أي بقعة من بقاع الأرض ؛ فالواجب صيانة المؤمنات عن مثل هذه المنزلقات ، والأولى إشغالهن بالجوانب التربوية الدّعوية النّسوية البحتة ، وإذا ما مُسَّ عرض امرأة مسلمة فالواجب أن يكون ردّ المجاهدين قاسياً موجعاً لفاعله يشرّد به من خلفه ويبقى محفوظاً ماثلاً للعيان رادعاً لكل من تسوّل له نفسه الإقدام على مثله ..

وليتذكر المجاهدون دوماً وليتذكر أعداؤهم أيضاً أن كعب بن الأشرف كان معاهداً معصوم الدم ، فهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتله فتية من أنصار هذا الدين وعلوا هامته بالسيوف لتشبيبه ببعض نساء المسلمين .

وليتذكروا أخيراً أنّ من عقيدة المسلمين ودينهم ؛ أن من مات دون عرضه فهو شهيد ..

كذا أخبر الصادق المصدوق ..

صلوات الله وسلامه عليه .

الوقفة التاسعة

(من لي بمثلِ مشيكَ المدلّلِ * تمشي رويداً وتجي بالأوّلِ)

في هذا العصر كم نحن بحاجة إلى رجال من أمثال محمد عطا وزياد الجراح ومروان الشحي وأحمد الغامدي وإخوانهم ..

ليس لأجل شجاعتهم فلا أشك بشجاعتهم، ولا ينقص أمة الإسلام اليوم شجعاناً ..

وليس لأجل إقدامهم وتضحيتهم ففي الأمة كثيرون يتمنون لو تسنح لهم الفرصة فيقومون بمثل ما قام به أولئك الرجال ويضحون كما ضحوا ..

ولكن لأجل عملهم الجماعي الهادئ المحكم الدؤوب الذي لا يتأثر بتقلبات الظروف أو بتغير الأحوال ..

فنحن نعاني في هذا الزمان من أزمة أو شح في العمل الجماعي الجاد الهادئ الخالي من الجعجعة، المتصل غير المنقطع، والمنضبط غير المتضطرب أو المتقلب ..

فأن تنضبط مجموعة كتلك المجموعة المباركة بمشروعها لبضع سنين لا تحيد عن الهدف الذي حددته لنفسها، وتضبط ألسنتها عن الثرثرة طوال سنوات تدريبها على الطيران وغيره مما تحتاجه لذلك العمل، وتواصل التدريب الجاد والإعداد الدؤوب ولا تقطعه أو تنصرف عنه إلى عمل آخر رغم تجدد الأحوال وتقلب الظروف والأحداث الدولية من حولها حتى تصل إلى مطلوبها وتحقق هدفها وتفوز ببغيتها ؛ فهذا أمر نادر في العمل الجماعي الإسلامي في زماننا، وهذه خصال يجب لفت الإنتباه إليها والتركيز عليها، لأنها تنقص كثيراً من المجاهدين والعاملين لأجل هذا الدين ..

فمن عايش ساحات الجهاد، ولم يكن بمعزل عن شباب الأمة ومارس العمل الدعوي أو الجهادي الجماعي أو خالط أهله وجماعاته ؛ يعلم أننا لا نعاني من نقص في الشجعان ولا من شح في الصالحين، أو المصلحين أو الأتقياء والورعين، أو ممن عنده استعداد جاد للتضحية في سبيل دينه ؛ ففي أمة الإسلام رجال كثيرون صدقوا ما عاهدوا الله عليه، عاشوا لأجل نصرة دين الله، والموت في سبيل ذلك أسمى أمانيهم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا ..

ولكن ليس بصلاح الدين والإخلاص والورع والتقوى والعاطفة الجياشة وحب الجهاد والإستشهاد والتحرق لنصر الدين ونحو ذلك من المعاني الطيبة والخصال الحميدة ؛ ليس بذالكم وحده ينصر الدين وينكأ العدو، ونتوصل إلى أهدافنا ونحقق أمانينا ؛ خصوصاً إذا كنا نعمل من خلال جماعة وكانت أهدافنا جليلة تتناسب مع ما يحتاجه الإسلام والمسلمون اليوم من تمكين، أو نصرة ليست كأي نصرة، أو نكاية في الأعداء تتناسب مع مستويات العصر وتحدياته وتتحدى شراسة الأعداء وخبثهم وعظيم مكائدهم .. بل لا بد مع تلكم الخصال المهمة من خصال أخرى لا تقل أهمية عنها ولا يستقيم العمل الجماعي ولا يصلح ولا يؤتي ثماره إلا بها، ومن أهمها أمران :

الأول : الكتمان .

والثاني : العمل الدؤوب المحدد الأهداف، المتواصل غير المنقطع .

ووقفتنا هذه مع الأمر الثاني ..

فالعمل الجماعي له طابع وأبجديات وأصول يجب أن تراعى وضروريات غير ما يحتاجه العمل الفردي .. وكل من يعقل يعرف هذا ..

وإن كانا من حيث المشروعية كلاهما مشروع ..

فـأن تجاهـد وحـدك عنـد عـدم الجماعـة ذات الرايـة النقيـة مسـتهدياً بقـوله تعـالى : (فقاتـل فـي سـبيل اللـه لا تكلـف إلا نفسك ..) فتنال من أعداء الله ما تسـتطيع نيلـه ؛ عمـل صـالح مشروع ..

ولكن الأكمل والأصلح الذي يحبه اللـه لهـذا الـدين ولأهلـه أن يكون القتال والجهاد من خلال جماعة أو صـف كمـا سـماه اللـه تعالى فقال : (إن اللـه يحـب الـذين يقـاتلون فـي سـبيله صـفاً كأنهم بنيان مرصوص) .. هذا من حيث المشـروعية والأفضـلية، إذ لا يشك عاقل أن ثمـرات العمـل الجمـاعي المحكـم الواضـح الأهداف أعظم غالباً من نتائج وثمرات الأعمال الفرديـة، فكيـف إذا نصّ الله تعالى على أنه يحبه ؟!

أما من حيث طبيعة كل منهما ؛ فقتال الفذ غير قتـال الصـف ..

فالفذ لا يرتبط غالباً بخطة بيّنة ومنهاج محدد أو كما يسمونها بلغة العصر (أجنـدة) أو (اسـتراتيجية) كمـا هـو الأصـل الـذي يجب أن يكون في الجماعة التي تحترم جهودها وتهمهـا طاقـات أفرادها وأعمارهم ..

فالفذ تجـده اليـوم يقاتـل فـي أفغانسـتان وغـداً ينتقـل إلـى الشيشان وبعد غد تراه يطلب العلم في اليمن أو الباكستان ثــم فجأة يتحول للقتال في البوسنة فالفلبين فالعراق .. وهكذا، فهو جندي من جنود الإسلام أينمـا سـمع هيعـة طـار إليهـا بحثـاً عـن الشهادة ونصرة الدين والنيل من أعدائه أينما كانوا ..

ولا شـك أن هـذا مـن أحسـن الأعمـال وأصـحابه مـن انصـار الدين، وهو حال كثير من شباب الأمة اليوم بحمد الله ..

ولكن لا شك أن أحسن منه وأفضل وأكمل لدين اللـه العمـل أو القتال والجهاد من خلال جماعة لها خطهـا الواضـح ومنهاجهـا المحكم وهدفها البيّن الـذي يتطلـع إلـى مـا يحتـاجه المسـلمون اليوم ويفتقدونه من التمكين، ويراعـي الأولويـات ويتناسـب مـع مكائد الاعداء ومستوى حربهم وكيدهم، بحيث تجمع قيـادته إلـى

جانب علمها بالشرع معرفتها بالواقع معرفة دقيقة عميقة مفصّلة، فلا تتعاطى معه بنظرة سطحية ساذجة، بل بنظر ثاقب محكم وبعيد، قيادة لا تتعاطى مع الأمور بالعاطفة والحماس الأجوف وحده، فهذا لا يصلح لمن تقلد المسؤولية، ولا يليق بمن يسعى لأهداف جليلة عظيمة، ولا ينبغي لجماعة أو فئة أو طائفة تتعاطى العمل الجماعي أن تنهج نهج الأفراد فتتنطط في الأهداف وتتقلبَ في المنهاج أو تقاتل بحسب المناسبات ..

فالعمل العشوائي غير المنظم ولا المنضبط بخطة أو (استراتيجية) كما يسمونها اليوم ؛ يمكن أن يُتغاضى عنه بالنسبة للأفراد، أما أن تتعاطاه الجماعة فتعمل عملا عشوائياً لا يحدوه منهج محدد ولا تربطه خطة أو برنامج واضح على طريقة الأفراد المبعثرين ؛ فهذه جماعة لا تحترم جهودها ولا يهمها أعمار شبابها ولا تحرص على أموال المسلمين وطاقاتهم ولا يهمها إهدارها، وإن ادعت خلاف ذلك .

كثيرة هي في زماننا التجمعات العشوائية التي لا تمتلك أيّة خبرة بالعمل الجماعي، بعضها قادتها العشوائية والتخبط في العمل إلى الفشل فالتشرذم والتبعثر أو السجون ..

والبعض الآخر لم يتعلم من تجارب الآخرين فلا زال يعمل بعشوائية مع أن السعيد من وفّر عمره وما في كيسه واستفاد من تجارب الآخرين وما بدّدوه فتعلم من أخطائهم ووعظ بغيره ..

فترى الجماعة تنشط اليوم في حقل الدعوة إلى التوحيد مقتنعة بذلك العمل متحمسة له ومنطلقة، ثم فجأة تطرأ في البلد بعض التطورات كأن توقع اتفاقية سلام مع اليهود أو تجدّ بعض المناسبات كرأس الألفية الميلادية الثانية أو نحوها، أو تطرأ بعض التطورات في بعض نواحي البلد كمطاردة أخ من قبل أعداء الله، فإذا بأفراد ذلك التجمع أو أكثرهم فجأة يجتمعون ويقررون التصعيد العسكري ضد اليهود أو السياح المتوقع قدومهم في تلك المناسبات أو يتخذون قراراً بالمواجهة مع النظام لنصرة ذلك الأخ المطارد وتحميل إخوانهم الآخرين

آثار أخطائه سواء كانت علنيته في اقتناء السلاح أو مجاهرته بأمانيه في قتال الأمريكان أو نحو ذلك .

فيزجون بإخوانهم المشتغلين في خير عظيم ويتنطّطون بين اختيارات طارئة وغير مدروسة دون أن تكون تلك الخيارات من قبل في حساباتهم أو خطتهم الآنية ؛ بل هي قرارات دافعها طروء تلك المناسبة أو ذلك الحدث أو محض حماس الساعة، أو مجرد اندفاع اللحظة، وقد يهمل أكثرهم الدعوة التي ربما كانوا قد قطعوا فيها أشواطاً طيبة، ويقفزون إلى عمل لم يكن في حساباتهم، فيهملون أو يبطلون ما كانوا فيه سائرين، ولا يحسنوا أو يحققوا ما قفزوا إليه ..

وأحياناً تنقسم الجماعة إلى أقسام يعيب أصحاب الجانب التصعيدي الحماسي منهم على أصحاب الدعوة دعوتهم، ويعيّرونهم بما يسمونه قعوداً عن الجهاد أو خذلانا لبعض إخوانهم، وتخرج البيانات الرنانة التي تمتلئ بالعاطفة والحماسة وتتوعد بالويل والثبور، وتعيّر الصابرين على الدعوة لزومهم لدعوتهم، وأحياناً يكون أصحاب تلك البيانات بعيدون كل البعد عن الساحة التي يتكلمون عنها، وغائبون عن الواقع الذي يدفعون إليه إخوانهم دفعا .. فيحمسون من يحمسون ويدفعون من يدفعون ويعيّرون من يعيّرون بجهل، ويتكلمون فيما لا يعلمون، بل كل ذلك بدافع العاطفة والحماس الذي ما يفتأ أن يخبو وينطفئ أمام معطيات الواقع وإمكانات الجماعة الحقيقية ولذلك تراهم لا يستجيب له في البلد حتى أفرادهم المرتبطون معهم تنظيمياً لأنهم يرون ما لا يراه أولئك الغائبون .. ثم يمضي الحدث وتنقضي المناسبة وتطويها الأيام وتبقى تلك البيانات الحماسية شاهداً من شواهد عشوائية العمل .

كم تألمت عندما رأيت ما آل إليه حال بعض الجماعات التي تابعتها شريحة عريضة وواسعة من شباب الأمة حقبة من الزمان، ثم تناقضت ونقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وأبطلت ما أصّلته ودعت إليه من قبل تحت مسمى المراجعات وكان جديراً بالمراجعة والمطالعة والنظر والتروي والتأصيل أن يسبق العمل والدعوة والجهاد والترأس والتوجيه، حتى لا تذهب الجهود

سدًى وتهدر الطاقات هباء .. فلا يحل أن تمارس الجماعة عملها وتجمع الجموع من حولها وتجيّش جيوش الشباب وهي لا تدري ما الذي تريده ؛ فتراها في فترة تتصادم مع النصارى، ثم تشتغل بالحسبة ومنكرات المجتمع فتقتحم حفلات الزفاف وتحطم الكراسي على رؤوس المطربين والمغنيين بل والمدعوين، أو تلقي بالمواد الكيماوية الحارقة على المتبرجات، ثم تنقلب إلى قتل السياح وغير ذلك .. ثم وبعد سنيّ البلاء لا تلبث أن تراجع !! أو تتراجع وتتشرذم وتتبعثر، فيتخذها خصوم التيار الجهادي ذريعة للطعن على هذا التيار، مع أن الناظر في جذورها ونشأتها وأدبياتها ؛ يعلم أن الخلل كان فيها منذ البدايات ..

كما تألمت ولا زلت أتألم عندما كنت أرى كثيراً من التجمعات التي كانت تقر عيني بنشاطها في الدعوة إلى الله وصدعها بالتوحيد وثباتها عليه رغم البلاء وتصديها لدعاة الفتنة من أهل التجهم والإرجاء ؛ كم تألمت عندما كنت أفاجأ بإخلائهم الساحة التي ملؤوها نشاطاً ودعوة، وهجرتهم إلى بلد قد قيل أن حدود الله تقام فيه أو جبهة قد قيل أن راية نقية قد رفعت فيه، فيترك أولئك الشباب دعوتهم وجهدهم في بلدهم فجأة بعد أن يكونوا قد قطعوا فيه أشواطاً ومراحل ويخرجوا منها وهم يعلمون أن الرجوع إليها سيعسّره الطواغيت بعد أن يعرف بمخرجهم كل أحد، فينتقلوا إلى ذلك البلد أو تلك الجبهة ليصدموا بعد ذلك أن من دفعهم إليها كان مبالغاً في تقاريره عنها، لم يبن تلك التقارير على دراسة واعية أو نظرة ثاقبة فاحصة، وإنما الدافع الأوحد كان العاطفة أو الحماس والسطحية، وربما الملل من ملاحقات طواغيت بلادهم ومحاربتهم لدعوتهم، فتكون تلكم الصدمة والمفاجأة سبباً في انقسام التجمع أو رجوع بعضه من حيث خرج لتتلقفه أجهزة المخابرات ويودع سجونهم ولا يطلق سراحه إلا بعد أن يُعصر من المعلومات عن إخوانه وتحركاتهم وتنقلاتهم ومخططاتهم، ويتشظى البعض الآخر ويتناثر بين البلدان والجبهات، فهذه الجبهة عند هذه الطائفة أنظف وتلك البقعة عند هذه المجموعة أصلح، وتبدأ كل طائفة في اختيارها الجديد بداية جديدة بجهود مبعثرة، ودون خطة واضحة أو منهجية محددة، ومع ذلك تستنفر

كل طائفة من تعرف من الشباب وتدعوهم لترك ما هم فيه من دعـوة للحـاق بهـم، وتعقـد المقارنـات بيـن الجبهـات وتجمـع التبرعـات وتحشـد الإمكانـات والطاقـات، ثـم وبعـد مـدة وبكـل سهولة ويسر تراهم يغيّرون الإختيار الجديد ويتركون تلك الجبهة أو ذلك المكان ويقفزون إلى جبهة أخرى أو موقع آخـر أو عمـل جديد لمناسبة طرأت أو جبهة فتحت .. وهكذا ..

يوما بحزوى ويوماً بالعقيق وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاءِ

وتارة تنتحي نجداً وآونة شعب الغوير وطوراً قصر تيماءِ

فلا عجب أن لا يحقق من كان هذا حـاله هـدفاً أو يصـل إلـى غاية أو يتمّ مشروعاً ؛ فضلاً عن أن يقيم دولة ..

والعامة عندنا تقول : (كثير النّط قليل الصيد) .

وبعد ..

فهـذه أخطـاء لا يجـوز السـكوت عليهـا بحـال، وكـل جماعـة تحـترم نفسـها وتحـرص علـى جهـد شـبابها وأعمـارهم وتهمّهـا طاقات المسـلمين وإمكانـاتهم وأمـوالهم ؛ لا يمكـن أن تمـارس مثل هذه الممارسات أو تتقلب مثل هذه التقلبـات، فتبطـل كـل يوم جهـوداً وتهمـل مسـافات ومفـازات قطعتهـا، وتتنطّـط فـي الإختيـار دون أدنـى دراسـة هنـا وهنـاك غيـر محـددة لهـدفها أو برنامجها، وغير عارفة لما تريد ..

وقد قال تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) .

وقال سبحانه : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قــوة أنكاثا) .

أسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويوحد كلمتنا وينصرنا على من عادانا .

الوقفة العاشرة

الحذر والكتمان بين الإفراط والتفريط

يقول الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) فأمر سبحانه بأخذ الحذر قبل الأمر بالنفير ..

وقال تعالى : (وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهينا) فالأخذ بأسباب الحيطة والحذر وكذا الكتمان في العمل الجهادي أمر مشروع في ديننا بل واجب في كثير من الأحيان ، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالإستعانة بأسباب الكتمان في أشياء و حوائج دون العمل العسكري والجهادي فقال : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .. (

بل إنه صلى الله عليه وسلم تعدى في هديه موضوع الكتمان إلى التمويه على الأعداء ومخادعتهم ، فلم يكن الحذر موقوفاً عنده على كتمان الإسرار ؛ بل كان يحرص على تشتيت رقابة الأعداء وتضليل عيونهم وجواسيسهم ، ففي حديث كعب بن مالك في الصحيح (4418) في قصة تخلفه في غزوة تبوك قال : (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها ..)

وكان من مبالغته وحرصه على إنجاح غزواته ومهام أصحابه بالكتمان أن يبعث السرية في جهة معينة دون أن يعلمهم عن هدفهم ، بل يكتب لهم كتاباً يذكر فيه الهدف المقصود ، ويأمرهم أن لا يفتحوا الكتاب حتى يقطعوا أغلب سفرهم ويقتربوا من غايتهم ، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع سرية عبد الله بن جحش التي قُتل فيها ابن الحضرمي .. وفي ذلك ما فيه من كتمان الأسرار العسكرية وعدم إظهارها حتى للجند أنفسهم إلا قبيل التنفيذ مباشرة ، حتى لو ان بعضهم ضعف أو سقط أسيراً في أيدي الأعداء لم يكن عنده ما يقوله أو يفشيه ولو قطعوه أو مزقوه ...

ومن هذا الباب انه صلى الله عليه وسلم لما أزمع على الهجرة ..

- جاء إلى أبي بكر في ساعة غير التي اعتاد أن يأتيه فيها ..
- وجاءه متقنّعاً ..
- وأمره أن يُخرج من عنده قبل ان يسر إليه بقرار الهجرة رغم انهم كما قال أبو بكر (إنما هم أهلك)
- وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما في غار جبل ثور ويدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ..

انظر ذلك كله في حديث الهجرة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في صحيح البخاري (3905) .. وفيه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لسراقة لما أدركهم في الهجرة (أخفِي عنّا) ..

وفي صحيح البخاري باب (الحربُ خَدْعَةٌ) وذكر فيه الحديث ، قال الحافظ ابن حجر : (وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه ، وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار ، وإن لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه) اهـ .

وفي البخاري أيضاً : (باب الكذب في الحرب) وذكر فيه قصة قتل الصحابة لكعب بن الأشرف طاغوت اليهود وما فيها من مخادعته وإيهامه انهم يتثاقلون ويُعانون مما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة ، إلى أن استمكنوا منه وقتلوه .. وذكر الحافظ في شرحه في الفتح حديث الترمذي في جواز الكذب في ثلاث ؛ منها الحرب ، وقصة الحجاج بن علاط في استئذانه النبي صلى الله عليبه وسلم أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة ..

وروى البخاري أيضاً قصة إسلام أبي ذر (3861) وفيها من العبر في هذا الباب ما يدل على أن الصحابة كانوا يحرصون على أسباب الحيطة والحذر والكتمان ولا يُفرّطون في شيء من ذلك ، ففيها تردّد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة أيام على أبي ذر دون أن يفاتحه بشيء حتى اطمئن إليه وسمع خبره أولاً وتأكد من حرصه على الإسلام والوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفاقه معه على أن يسير خلفه ليوصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يُشعر قريشاً بذلك وقوله (إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي) إلى آخر القصة ..

وفي القرآن أخبرنا الله تعالى في قصة الفتية أصحاب الكهف حذرهم من قومهم وقولهم عمن سيبعثونه إلى المدينة (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) ..

فهذا كله وغيره كثير ، يدل دلالة واضحة على أن الأخذ بأسباب الحيطة والحذر والكتمان والتمويه على الأعداء ومخادعتهم والكذب عليهم لتجنب مكائدهم ؛ كل ذلك أمور مشروعة لا حرج على المسلم فيها ، ولا يعاب عليها ، وأن عدم الإستفادة من ذلك وإهماله وعدم إعماله قد يسلط أعداء الله على الدعاة والمجاهدين ، وقد يفشل سعيهم ويحبط جهادهم ..

إذا تقرر هذا فاعلم أن الناس مع هذا الأمر بين الإفراط والتفريط فبعضهم بالغ فيه وأفرط حتى أصيب بالشلل التام ، وأمسى يخاف من ظله ، ويحسب كل صيحة عليه . ومنهم من ترك الدعوة والجهاد على إثر بعض النكسات التي أصيب بها بسبب تفريطه في هذا الباب وانقلب بعدها إلى الإفراط وصار يتعامل مع أعداء الله وكأنهم – خابوا وخسروا – يعلمون السر وأخفى ، واندحر أمام تكنولوجيا العصر وانضبع من إمكاناتها في التنصت والاختراق والتجسس فلا يكاد يستعمل أجهزة الحاسوب أو الهاتف أو غيرها من سبل الات صال ، ولو قدر على استعمال الحمام الزاجل لما استعمل غيره ..

مع أن المسألة لا تحتاج أكثر من شيء من الخبرة بهذه الوسائل لتجنب آثارها ومفاسدها مع خبرة أخرى بأساليب التمويه والخداع والتضليل لأعداء الله ؛ لينقلب السحر على الساحر ..

أما أن نعتزل هذه الوسائل ولا نستغلها للدعوة والجهاد بحجة أنها مدخولة مخترقة ، أو نبالغ في التخوف والتلمس من ذلك دون داع إليه فذلك هو الإندحار والإنكسار أمام بهرج تكنولوجيا أعداء الله وزخرف إمكاناتهم ..

ولقد زرت بعض الشباب بعد خروجه من محنة سجن اعترف فيها بعضهم على بعض في التحقيقات ، فلم أكد اجلس حتى قام إِلى المذياع فشغّله بصوت مشوّش فقلت له : ما لنا وللمذياع أغلقه حتى نعرف نتكلم ، فقال : هذا ضروري للتشويش على أجهزة التنصت إن كانت موجودة ! فقلت : البيت بيتك والحديث اجتماعي ودي لا أمني ولا حربي ولا حتى دعوي ، ولا أراك مشوّشاً إلا علينا ..

وبعضهم إذا كلمك على الهاتف بالغ في استعمال التمويه والرموز فيما لا داعي له ولا يستحق ذلك ، حتى يُصيّر كلامه طلاسم ملفتة ومثيرة ، بل ومشكلة عليك فلا تكاد تفهم ما يريد ، ولو أن أعداء الله استمعوا إلى طلاسمه لضخّموا شأنها ولظنوا أن وراءها عمليات أضخم من عمليات نيويورك وواشنطن ، مع أن الموضوع أقل من عادي وأحياناً يكون تافها لا يستحق الترميز ولا التشفير ..

وأحياناً كثيرة يكون التصريح بالكلام أولى لأنه لا حرج فيه ولا ضرورة لاستعمال التمويه فيه ؛ ومع ذلك يفضل بعض المتنطعين الغموض والتنطع في التمويه ؛ كأن يهاتفك أحدهم قائلاً : لك عندي أمانة ، أو أريدك اليوم لحاجة ضرورية ، وتكون الأمانة علبة من الحلوى أو ثوباً أو قارورة طيب لا حرج من التصريح بها ، وتكون الحاجة الضرورية دعوة على غداء أو عشاء ، ولكن أولئك المتنطعين يحبون الإبهام والتمويه السينمائي ولا يعرفون أنه في هذه الحالات يضر ولا ينفع ، خصوصاً إذا كانت

اتصالاتهم مع المتابَعين أمنيا الذين يحاسبهم أعداء الله على كل كلمة .. وإذا ما اعتقلوا لم يصدقوهم ولو حلفوا لهم الأيمان المغلظة أن الأمانة كانت من الأشياء المذكورة ، أو أن الموعد كان غداء أو عشاء ، ولم يتركوهم حتى يقتلعوا أظافرهم ويمزقوا جلودهم كي يسلموا الأسلحة والمتفجرات وليقروا ويعترفوا بالموعد العسكري أو التنظيمي الضروري الذي كان وراء تلكم الرموز والتشفيرات ..

والبعض يُقر عند أعداء الله ويعترف باتصالاته التي ربما اضرّت به وبإخوانه دون أدنى ضرب أو تهديد بحجة أنه سمع أو قرأ عن تكنولوجيا حديثة قادرة على التقاط نبرة صوت المطلوب إذا عمّموها عبر الأقمار الصناعية في هواتف العالم !! وكأن اتصالاته تدور حول أسلحة الدمار الشامل !! ومن ثم فقد تحرج من الكذب عليهم لأن كذبه سينكشف بواسطة تلك التكنولوجيا ، ولا أدري أي شيء يضير المسلم ان عرف أعداء الله بكذبه عليهم أو اكتشفوه ؟ أوَ ينتظر منهم شهادة حسن سلوك ، أم انه يخجل من الكذب على أكذب خلق الله وأخبثهم وأغدرهم ، مع أن كذبه إن جرى فلحماية دعوته وجهاده ولدفع الظلم عن نفسه وعن إخوانه ، أما كذبهم المتأصّل فهو للكيد بدعوته واستئصال جهاده ولظلمه وظلم إخوانه ..

وإذا كانت هذه أمثلة من الأثار السلبية للإنبهار إلى حد الإندحار أمام تكنولوجيا العصر وإمكانات أعداء الله ، وشيئا من آثار الإفراط والمبالغة في التمويه والتخوف أو الحذر إلى حد الوسوسة لغير ما حاجة وفيما لا طائل من ورائه ..

ففي الطرف المقابل قد فرّط البعض في هذا الأمر المهم تفريطاً عظيماً وأهمله وعطله تعطيلا كلياً فترى أسراره مكتوبة ومذكراته ومواعيده المهمة وخططه وتفاصيل تنظيمه وتميله وإنفاقه كل ذلك وغيره مبثوثاً على الورق في عصر التكنولوجيا ، وبتفصيلاته بصراحة دون تمويه أو تشفير ، وإذا جاءته رسالة هامة تحذيرية أو تنظيمية أو أمنية بقيت في جيبه – لا أدري أللذكرى !! – أياماً وأسابيع ، أو مكثت في بيته شهوراً وأحياناً سنوات دون إتلاف ؛ تنتظر أعداء الله لتصير لهم صيداً

ثميناً في أقرب مداهمة لبيته أو أعتقال قد يفجأه فلا يستطيع بسببها أن يحيد في التحقيق يمينا أو شمالاً ، ويصير إهماله سببا لاعتقال إخوانه وإحباط عملهم أو جهادهم أو تراه يتعامل مع وسائل الاتصال بثقة عمياء ، وإذا حذره بعض إخوانه أو أوصوه بأخذ الحيطة والحذر أو بكتمان الحديث عن زيارات أو لقاءات ، أو بحرق رسالة بعد قراءتها أو بعدم الإحتفاظ بأسماء وعنواين حقيقية وكاملة في أوقات أو أماكن معرضة لتفتيش أعداء الله أو مع أشخاص معرضين للتحقيق والاعتقال ؛ استهجن ذلك واستنكره وربما عدّه جبناً وخوراً وعاراً .. فلا أدري ماذا سيقول مثل هذا لو رأى بعض إخوانه مستخفيا في غار صغير ممتلئ بجحور الأفاعي لا يتسع لأكثر من رجلين في حال طلب الكفار له .. ؟! لا جرم أن عيْبَ مثل هذا لا ينجم إلا عن ذهول عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وانغماسٍ في حياة الدعة ، وبعدٍ عن حياة الجهاد والعمل الجاد لدينٍ الله ، وركون إلى الأمن الزائف الذي يعيشه عوام الناس وهَمَلهم ويُروّج له الطواغيت وأنصارهم ..

هذا التفريط والتسيب والإهمال أدى بكثير من التجارب إلى فشل ونكسات أحزنت أهل الإسلام وأقرت أعين أعداء الله فضخّموها وجعلوا من فشلها إنجازات وانتصارات لأجهزتهم الأمنية على الإرهاب ، والحقيقة أن سبب ذلك الفشل ليس ذكاء أعداء الله ولا حنكة أجهزتهم الأمنية بل تفريط وإهمال أهل تلك التجارب لهذا الجانب ..

فكم كنت أحزن وأتألم عندما كنت أرى بعض من لا يقبلون النصح في هذه الأبواب من الشباب الذي لا يتعلمون من تجارب غيرهم ولا يتعظون بنكساتهم فيكررون زلاتهم ويجترون أخطاءهم ؛ فإذا هَمّ أحدهم بعمل جهادي واقتنى سلاحاً لم يكتف بإطلاع كل من يلقاه عليه بل أطلعهم على أمانيه وأحلامه وتخطيطاته في العمل الجهادي ثم لا يدري بعدُ من أين تأتيه النكسة وكيف باءت أمانيه وتخطيطاته بالفشل !!

ويحزنني أن يتقن أهل الدنيا من أصحاب التنظيمات الأرضية أصول العمل العسكري وقواعده الأمنية فتراهم إن هموا بعمل

لا يخبرون عنه وعن أهدافه ولا يطلعون على عدته وسلاحه إلا المنفذين فقط وقبيل التنفيذ بوقت وجيز لا يسمح بتسرب شيء من أخبار عملهم ، ولا يعرف المنفذون اكثر مما يحتاجونه من معلومات لتنفيذ مهمتهم ، أما مصادر السلاح وأماكن تخزينه ومن استورده ومن سلمه لهم وهل هناك غيره وهل ثم أهداف أخرى سيقوم بها إخوانهم وغير ذلك ؛ فهذا كله من فضول المعرفة وتعتبر أعباءاً أمنية لا يصح أن يُحمّلها من يحترم عمله العسكري لمن لا تعنيه ، ولذلك تكون الأخطاء والنكسات في حال فشل مثل هذه الأعمال محصورة محدودة .. بخلاف النكسات القاضية والتي تحرق كل من حولها بتخبط بعض الدراويش الذين يلجون إلى ساحة العمل العسكري بعشوائية وسفه .. مع أن المسلم هو أولى الناس بالإتقان والضبط والحذر والنباهة في هذا الباب فسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته حافلة بمعالم وتجارب عظيمة في هذا الباب تقدمت إشارات منها .. والجهاد بحاجة إلى الليوث والصقور لا إلى الدراويش وبغاث الطيور ..

ومن صور التفريط في هذا الباب أيضاً أن بعض الشباب يتعامل مع السلاح بعد أن هداه الله إلى هذا الطريق كما كان يتعامل معه أيام جاهليته بعنجهية العشائرية والقبلية التي قدمنا الكلام عنها في وقفة سابقة ؛ فتراه لا يتحرج من إظهار حيازته ، وتراه يدور بسيارته ويتجول هنا وهناك ومعه بندقيته الآلية بل وربما بعض القنابل والذخائر باستهتار عجيب ، يريها لهذا ويطلعه عليها ذاك ، فإذا ما وعظته أو ذكرته ونصحته بأن هذا التسيّب لا يناسب أصحاب هذه الطريق ، وأنّ أمسه الجاهلي قد ولى وانقضى ، وقد تبدّلت معه وتغيرت نظرة أعداء الله إليه بمجرد ظهور بعض شعيرات في وجهه ، أو باقترابه من بعض أهل هذا التيار الجهادي واتصاله بهم ؛ استهجن نصحك واستغربه ولم يستوعبه إلا بعد فوات الأوان .. وربما عزاه إلى الجبن والخور ، وقال لا داعي للمبالغة فالأمور عادية .. فإذا ما اعتقل وابتلي بسبب تفريطه هذا لم تعد الأمور عنده بعد ذلك عادية ولا حتى (أوتوماتيكية) بل غالباً ما ينقلب أمثال هذا الصنف بعد البلاء إلى جانب الإفراط الأول فتراه يتلمس من

ظله مندحراً أمام تكنولوجيا العصر منضبعاً من إمكانات أعداء الله الرهيبة واستخباراتهم الفظيعة التي اكتشفت أسلحته وقنابله المكشوفة !!

ويُلمع أعداء الله ويضخم من شان أجهزتهم الأمنية بتبريره وعزوه سقوطه إلى ذكاء أعداء الله وخبثهم وقوة مخابراتهم لا إلى غباءه وتسيّبه وإهماله ..

والحق ليس مع تفريطه من قبل ولا مع إفراطه من بعد ، بل مع التوسط والإعتدال في ذلك كله .. فحري بأهل هذه الطريق أن يرتقوا إلى مستوى جهادها العظيم وأن يتبصّروا بمكائد أعداءهم ، ويأخذوا بأسباب الحيطة والحذر والأمن والكتمان من غير إفراط ولا تفريط ..

أسأل الله تعالى أن ينصر أولياءه ويذل أعداءه

والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون >

الوقفة الحادية عشر

مسألة القتال مع الأمير الفاجر بين الإفـراط والتفريط

معلوم عند أهل السنة والجماعة جواز القتال مع الأمير الفـاجر لدفع العدو الكافر إذا لم يتوفر الأمير الصالح لـدفعه ، ولـم يمكـن الجهاد الا مـع الفـاجر..هـذه المسـالة مشـهورة عنـد أهـل السـنة والجماعة ، وقد تكرر ذكرها عندهم في كتـب الفقـه بـل والعقائـد حيث خالفوا بها أهل البدع ، وهي مسالة مبنيـة علـى قاعـدة دفـع اعظـم المفسـدتين باحتمـال أدناهمـا وهـي قاعـدة معروفـة مـن قواعد الفقه ...

قال شيخ الإسـلام ابـن تيميـه فـي الفتـاوى (28/506) : (مـن أصول أهل السنة والجماعة الغزو مـع كـل بـر وفـاجر ، فـان اللـه يؤيد هذا الدين بالرجـل الفـاجر وبـأقوام لا خلاق لهـم ، كمـا اخـبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لانـه إذا لـم يتفـق الغـزو الا مـع الأمراء الفجار ، أو مع معسكر كثير الفجـور ، فـانه لا بـد مـن أحـد أمرين ؛ إما ترك الغـزو معهـم فيلـزم مـن ذلـك اسـتيلاء الآخريـن الذين هم اعظم ضررا في الدين والـدنيا ، وامـا الغـزو مـع الأميـر الفاجر فيحصل بذلك دفع ألافجرين و إقامة اكـثر شـرائع الإسـلام وان لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الـواجب فـي هـذه الصـورة وكل ما أشبهها ، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع الا على هذا الوجه). اهـ.

وقال الطحاوي : (والحج والجهاد ماضيان مع أولـي الأمـر مـن المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما) اهـ .

وروي في ذلك حديث بلفظ (الجهـاد مـاض مـع البـر والفـاجر) أخرجه أبو داوود وأبو يعلى مرفوعا وموقوفا عن أبى هريرة وقال ابن حجر في الفتح : (لا باس برواته الا ان مكحولا لـم يسـمع مـن أبي هريرة).

كما قلت هذا أمر معلوم عند أهل السنة والجماعة ، وقد بنى عليه كثير من شبابهم في زماننا مشاركتهم في كثير من جبهات القتال .. ولكن الأمر الذي يخفى على كثير من شبابهم وارغب بالتنبيه عليه هنا كون المقصود " بالأمير الفاجر " الذي جوز أهل السنه الغزو والقتال معه دفعا للعدو الكافر في حال عدم إمكان دفعه الا بالغزو مع ذاك الفاجر..

أقول ؛ المقصود بالفاجر هنا هو ذاك الذي يكون فجوره على نفسه كمن يتعاطى بعض المعاصي كشرب الخمر ونحوها من أنواع الفسق التي لا تضر بالمسلمين ، فهذا هو الأمير المقصود بمن جوز أهل السنة الغزو معه واحتمال فجوره لدفع العدو الكافر ، بدليل اعتمادهم في ذلك على قاعدة دفع اعظم المفسدتين باحتمال أدناهما ، فذلك صريح بان شرط جواز الغزو مع الأمير الفاجر منوط بكون مفسدته قطعا أدنى من مفسدة الكافر ولذلك احتملت لدفع ما هو اعظم منها ..

بخلاف ما إذا كان فجور الأمير وضرره متعديا إلى الإضرار بالمسلمين بحيث تكون مفسدة تأميره أو الغزو معه مساوية أو اعظم من مفسدة ترك قتال الكفار ، فليس هذا الفاجر مقصودا بحال عند أهل السنة في مقولتهم تلك .

ولو تأملت أقاويلهم في هذا الباب و القاعدة المتقدمة التي اعتمدوا عليها في ذلك ، لما شككت في هذا التفريق طرفة عين ..

ولذلك لما سئل الإمام احمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو أحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما يغزى ؟

(قال : أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، واما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوي الفاجر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وروي بأقوام لا خلاق لهم ..) اهـ.عن مجموع الفتاوى (28/255)

فتأمل قول الإمام (وفجوره على نفسه) لتفهم عمن يتكلمون..ومثل ذلك ما ذكره ابن قدامة عنه في المغني (إن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه ؛إنما ذلك في نفسه ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) اهـ.

إذا تقرر هذا وعلم ان مسالة القتال مع الأمير الفاجر في حال عدم توفر الفاضل لدفع الكافر مقيدة بهذا القيد اعني كون فجوره على نفسه وغير متعد إلى الإضرار بالمسلمين ، وكون الفساد الذي قد يترتب بتأميره أدنى من فساد الكفار وتسلطهم على المسلمين ..

وانه في حال كون فساد الأمير الفاجر وضرره على المسلمين إما مساو لضرر الكفار وتسلطهم على المسلمين أو زائد عليه ؛ فلا يسوغ شرعا ولا عقلا القتال مع هذا الفاجر لان القاعدة التي أنيط بها هذا الحكم لا تنطبق عليه ، فهو ليس أدنى المفسدتين حتى يحتمل لدفع الأعلى ..

أقول إذا تقرر هذا فمن باب أولى ان لا يزج تحت هذه القاعدة ويحشر فيها أولئك الأوغاد من الأمراء الذين يتسلقون إلى أمجادهم وعروشهم على جماجم الشهداء وفوق دماء الأبطال وهم يعلنون صراحة دون مداورة عن توجهاتهم وأفكارهم وخططهم المستقبلية في الحكم التي تتبنى الديمقراطية الكافرة أو تؤاخي وتوالي طواغيت العرب والعجم أو تتحد معهم في منظماتهم الدولية الكفرية وتتكالب على شرعيتهم الدولية !!

ولا بأس عندهم من دغدغة عواطف الشباب بخطاب ذي صبغة أو ان جاز فقل قشرة إسلامية لاستدراجهم إلى جبهاتهم وسحبهم إلى معسكراتهم والاستحواذ على دعمهم وتبرعاتهم ..

هؤلاء الدجاجلة أو قل اللصوص لا شك عندي انهم من الأئمة المضلين أو الدجاجلة الذين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته عنهم وحذرها منهم إذ هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويستعملون خطابنا وآياتنا وأحاديثنا حين يحتاجون ذلك ؛ فإذا

قضوا مآربهم وبلغوا غاياتهم تنكروا لنا ولدمائنا ولجهادنا وكشفوا أقنعتهم عن وجوه خبيثة وقلوب حاقدة على الجهاد و أهله وباعوا الجهاد والمجاهدين بثمن بخس من المناصب الحقيرة التافهة ..

ولو ان الشباب تدبروا تصريحاتهم أول الأمر خصوصا تلك التي يدلون بها إلى إخوانهم وأوليائهم الذين كفروا من الطواغيت أو أوليائهم أو هيئاتهم ، ولم يغلقوا عقولهم على ما يختصونهم به من الخطاب الديني المصطنع لما انطلت عليهم ألاعيبهم ولما خدعوا بهم أو صدموا بعد فوات الأوان .. فالمؤمن كيس فطن ويجب ان يكون حريصا على هذه الروح ان يتق الله فيها فلا يزهقها الا حيث يتيقن نصرة الدين العظيم ، فهو لا يملك وفرة من الأرواح يجرب بعضها هنا وبعضها هناك ، فإنما هي روح واحدة فليشح بها ان يمنحها لأولئك الدجاجلة أو يزهقها في سبلهم ، وليتذكر انه ما من نبي الا وقد حذر أمته من الدجال كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام قد أوصانا ان نتعوذ من فتنته في دبر كل صلاة وما ذلك كله كما يقول شيخ الإسلام الا لان جنس فتنته وخبثه ومخادعته موجودة في كل زمان ..... فلنحذرها .

وفي مقابل هذا التفريط الذي وقع فيه كثير من شباب المسلمين اليوم فاغتروا بأولئك الدجاجلة وغضوا طرفهم عن سوءاتهم المكشوفة وتصريحاتهم الخبيثة وعلاقاتهم المشبوهة مع الطواغيت وأذنابهم ، وانساقوا وراء شعاراتهم الزائفة فقاتلوا تحت راياتهم بحجة جواز القتال تحت إمرة الأمير الفاجر فتسلق على ظهورهم أوغاد نقضوا ما عاهدوا عليه وتخلوا عن وعودهم بتحكيم شرع الله والتزام منهج الله ..

أقول في مقابل هذا التفريط افرط بعض الشباب في هذا الباب وغلوا فمنعوا من القتال مع قيادات أو في جبهات لبعض الهنات التي لا تصل إلى الفجور الذي يضر بالمسلمين ولا تقارن مفاسدها بمفاسد تسلط الكفار ولا تقاربها من قريب أو بعيد ..

بل بلغني ان بعض الشباب قد امتنع واستنكف عن الانضواء تحت راية خيرة المجاهدين في زماننا وخلاصتهم بدعوى

مخالفتهم لبعض ما يحمله أولئك الشباب من اجتهادات يسع فيها الاختلاف ، أو بحجة رفضهم التزام منهج دراسي معين اقترحه أولئك الشباب واختاروه من كتابات بعض المشايخ ونحو ذلك من الحجج والأعذار غير الشرعية التي لا يحل ان يضعف جهاد المسلمين بسببها أو تشتت جهود المسلمين وطاقاتهم من اجلها ..

ختاما نلخص ما تقدم بالنقاط التالية :

أولا: يجب على المجاهدين التفريق بين ما إذا كان الأمير الفاجر أو المعسكر الفاجر أو الدولة الفاجرة واقعا موجودا مفروضا ، وبين ما إذا كان الاختيار بيد المجاهدين ومجاله واسعا فلا يحل لهم ، والحال كذلك القتال تحت إمرة الفاجر أو اختياره أميرا عليهم بأي حال ، فمسالة القتال مع الأمير الفاجر إنما تطرح في حال عدم توفر غيره من الصالحين أو في حال ضعفهم ووهنهم ..

ثانيا: يجب عليهم التفريق بين الأمير الفاجر الذي فجوره ينحصر في نفسه ، وبين ذاك الذي يتعدى فجوره وضرره إلى الإسلام والمسلمين ، بحيث تكون مفسدته وضرره على المسلمين اعظم من مفسدة الكفار أو مساوية لها ، فالأول هو الذي جوز أهل السنة القتال تحت رايته دفعا لمفسدة الكفار التي هي اعظم من مفسدته ، أما الثاني فلم يجوزوا القتال معه ولا قصدوه في هذه المسالة ؛ لان القاعدة التي بنيت عليها مسالة مشروعية القتال مع الأمير الفاجر وهي دفع اعظم المفسدتين باحتمال أدناهما لا تنطبق عليه ..

ثالثا: يجب ان يتيقظوا ويتنبهوا إلى انه إذا كان مثل هذا الأمير الفاجر وليس بكافر ولكن مفسدته تتعدى مفسدة الكفار أو تساويها فان القاعدة المذكورة لا تنطبق عليه ولا يحل القتال معه ؛ فلا نعمة ولا كرامة إذن للقتال مع الأمير الذي يعلن ببدعة مكفرة أو يصرح باختيار منهج كفري أو حكم جاهلي ..

وخلاصة القول ان نجتنب الافراط أ والتفريط في هذا الباب ..

ـ نجتنب التفريط فلا نجهض جهاد المسلمين أو نحبط ثمراته ونصيره سلما للدجاجلة والائمة المضلين يتسلقون عليه إلى أمجادهم الدنيوية وذلك بتسويغ القتال تحت رايات منافقة خبيثة تلمح أو تصرح بتبني مناهج الكفر في حال تمكينها ، أو تتبنى بدعا مكفرة وتوجهات مناقضة لدين الإسلام وعراه الوثقى ، بدعوى القتال تحت إمرة الأمير الفاجر ، فنحمل هذه المسالة مالا تحتملها ، وننزج فيها ما ليس منها ..

ـ ونتجنب الافراط فلا نخذل إخواننا المجاهدين بتعطيل هذه القاعدة وإلغائها بان نشترط للقتال معهم شروطا ما نزل الله بها من سلطان ، كان نشترط نقاء صفوفهم وخلوها من العصاة وهو أمر لا سبيل إليه الا فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند خروج المهدي في آخر الزمان وانقسام الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ..

وإلا فقد تقدم قول شيخ الإسلام عن الغزو مع الأمير الفاجر : (بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع الا على هذا الوجه) .

أو نشترط إلزامهم باجتهاداتنا أو اختياراتنا التي يحتمل فيها الخلاف ، أو نلزمهم بأفكارنا وتصوراتنا مفصلة بحذافيرها ، وإلا فلا قتال ؛ فنخذلهم بذلك أو نضيع بعض فرص الظفر والتمكين ، بسبب قصر نظرنا وسوء فهمنا ..

ففي البخاري باب (الجهاد ماض مع البر والفاجر)

وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم)

ففي هذا الحديث وحديث (لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلي قيام الساعة) بشرى بقاء المجاهدين واستمرار الجهاد وعدم تعطله رغم كل الظروف إلى قيام الساعة ..

فلنبقى متوحدين أخوة متحابين وحذار من الفرقة و التخلف عن القافلة لحجج جوفاء ..

(ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين)

الوقفة الثانية عشر

بين قتال النكاية وقتال التمكين

من المعلوم أن العلماء يقسمون الجهاد إلى نوعين ؛ جهاد دفع وجهاد طلب هذا من حيث حقيقته ، كون الأول يكون دفعاً عن دار الإسلام وحرمات المسلمين إذا دهمهم العدو ، والثاني يكون بطلب الكفار في ديارهم أو قتالهم حيث كانوا ..

أما من حيث ثمرات الجهاد وآثاره ونتائجه فهو ينقسم إلى ما كان من جنس قتال النكاية وما كان مندرجاً تحت قتال التمكين ..

- فالقتال الذي يكون الهدف منه التنكيل بأعداء الله ولا تتعدى ثمراته النكاية في الأعداء وإغاظتهم والنيل منهم وإرهابهم أو كف أذاهم عن بعض المسلمين أو استنقاذ بعض المستضعفين أو فك الأسارى ، فهو حتى وإن لم يؤدي عاجلاً إلى تمكين للمسلمين إلا أنه عمل صالح مشروع ، وأهله إن شاء الله من المحسنين ، رضي بذلك المنهزمون المندحرون أم أبوا ..

فقد قال تعالى : (ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين)

وقال سبحانه : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

وقال عز وجل : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ... الآية) . فحث الله عباده على القتال في سبيله عموماً وفي سبيل استنقاذ المستضعفين من المسلمين .

فذلك عمل صالح مشروع أيضا ..

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا دعا له بقوله : (اللهم اشف عبدك يمشي لك إلى صلاة وينكأ لك عدواً) فجعل النكاية في الأعداء من وظائف ومقاصد حياة العبد المسلم ، وجعلها في الدعاء للمريض ليذكّر المسلمين دوماً بها ويحرّضهم عليها وينبّههم إلى أن يغتنموا عافيتهم لتحقيق المقاصد العظيمة والجليلة التي خلقوا من أجلها وأنّ من أجلّها هذان المقصدان : عبادة الله وحده ونصرة دينه بالنكاية في أعدائه ، فمن أجل ذلك يحيى المسلم وهذه أعظم وظائفه التي إن أقعده عنها المرض سأل الله المعافاة ليرجع إليها ..

وهذا النوع من القتال هو الغالب على قتال المسلمين في زماننا في أقطار الدنيا اليوم .. وهو وإن كان عملا صالحاً كما قلنا وله ثمراته الكثيرة التي ليس هذا مجال عدّها .. إلا أن هناك نوعاً آخر من أنواع القتال ، يجب على المسلمين تركيز جهودهم عليه وتوجيه طاقاتهم إليه ؛ ألا وهو قتال التمكين أو التحرير كما هو في مصطلحات العصر ، فهذا النوع يحتاجه المسلمون اليوم حاجة ماسة وفيه من النكاية في أعداء الله ما فيه إلا أن ثمراته لا تنحصر في النكاية أو تحرير بعض المستضعفين ونحوه كما هو شأن النوع الأول ، بل من أهم ثمراته التمكين للمسلمين في الأرض ، ومعلوم أن من أعظم مصائب أهل الإسلام اليوم أن لا تكون لهم دولة إسلامية تقيم دينهم في الأرض ويأوون إليها ..

وهذا النوع من القتال أعني القتال لأجل التمكين للمسلمين في الأرض أو تحرير بعض بلادهم من أيدي الطواغيت المتغلبين أو المحتلين الغاصبين يحتاج إلى إمكانات وشروط مختلفة عن قتال النكاية ، ويحتاج إلى خطة شاملة وواسعة يشترك فيها

أولي البصر والدراية والخبرة من العلماء الربانيين والدعاة العاملين والمجاهدين الصادقين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، بحيث يتولون أمر هذا الجهاد ويرعون نبتته حق الرعاية بأكفهم المتوضئة وتوجهاتهم النقية ونواياهم المخلصة إلى أن تينع ثمراته لتقطفها الأيدي ذاتها والنوايا والتوجهات نفسها لا غيرها ..

فلا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يجاهد المجاهدون الصادقون ويخلّصوا بجهادهم أو يحرّروا بعض بلاد المسلمين ؛ ليتسلق بعد ذلك على جماجم الأبطال ودماء الشهداء من يقطف ثمرة جهادهم من خلال الإحتكام إلى الديمقراطيات والإنتخابات أو غير ذلك من الطرائق الجاهلية التي تعتمد على الأكثرية المنحرفة والتي أوصلت إلى الحكم كل نطيحة ومتردية وموقوذة ، بعد جهاد طويل ومضنٍ للمجاهدين الصادقين ..

لماذا يستحيي المجاهدون المقاتلون الصادقون أنفسهم الذين دحروا الروس أو الصرب أو غيرهم في أفغانستان أو الشيشان أو البوسنة بقوتهم وجهادهم ؛ لماذا يستحيون أو يخجلون أو يستنكفون من تسلم أزمة الأمور بالقوة نفسها التي حرّروا بها البلاد ؟

أليسوا أولى الناس بتسلم أزمّة الأمور .. ؟

كم ساءني وأحزنني ما قرأته ذات يوم من كلام بعض قادة المجاهدين العسكريين البارزين في بعض البلدان حين سئل في لقاء صحفي ؛ أن هل سيتولى الحكم هو وأمثاله من القادة العسكريين في حال انتهاء حرب التحرير .. فأجاب بالنفي وأوضح أنه مجاهد وغايته قتال أعداء الله في أي مكان (يعني فقط جهاد نكاية) أما الحكم والسياسة فلها أهلها ونحن لسنا أهلها .. !!

هذا الكلام السخيف لا ينبغي أن يصدر عن مجاهد يحترم جهاده ويحترم دماء الشهداء وأعمار الشباب وطاقات الأمة التي شحنت في تلك الجبهات ، ويعرف مصاب الأمة بفقدها دولة

الإسلام وحاجتها الماسة إلى دار تأوي إليها وتنطلق منها .. وهذا ليس تشكيكا مني في الأخ المذكور فلا أشك بأنه يعرف ذلك كله ويحترمه .. ولكن لا أدري ما باعث هذا الكلام أَوَرَعٌ بارد أم استنكاف أم تواضع في غير محله ؟؟

لماذا لا يكون في حسابات المجاهدين أن يتولوا الحكم وزمام الأمور بعد التمكين هم بأنفسهم الذين صدقوا في الميدان وثبتوا خلف المدافع وفي حقول الألغام .. ؟

أليس هؤلاء أخلص الناس وأنظفهم وآمنهم على الحكم ؟

لماذا يستنكف هؤلاء عن الحكم ؟

وإلى متى تبقى مشاريعهم لا تتعدى قتال النكاية وأُمْنية الاستشهاد ؟ وأي حرج أو أي مانع يمنع من تبني مشروع التمكين والسعي له مضافاً إلى النكاية وأُمْنية الإستشهاد ؟

أليس من الفقه السليم والواعي أن نعرف مقام ورود كثير من الآثار التي حكيت عن كثير من شهداء الإسلام من صحابة أو تابعين أو غيرهم ؛ من أنّ أكثر أمانيهم ودعواتهم كانت تنصبّ على أن يعقر جواد أحدهم ويكسر سيفه في جماجم الأعداء ويرزق الشهادة ؛ أنّ أكثر ذلك كان في ظل خلافة ودولة للمسلمين .. وأن الأماني والدعوات في حال عدم هذه الدولة يجب أن تتوسع لتشمل السعي إلى تحقيق عز الإسلام والتمكين للمسلمين ؛ مضافاً إلى تلك الأماني الأُوَل ..

ولماذا لا نكاد نفرح ببعض الجبهات التي تعدّى تفكير أهلها ومشروعهم قتال النكاية ووضعوا في حساباتهم السعي للتحرير أو التمكين ، إلا ويعكر صفو ذلك الفرح قيادات أو شخصيات نكدة مشوشة الولاء منحرفة التصورات متخبطة المنهاج يمنحهم القادة العسكريون من المجاهدين ولاءهم ، يجلسون خلف المكاتب لا في الخنادق وخلف المدافع ، وينتظرون قطف الثمار !! أو يخرجون لنا من صناديق الإقتراع التي يسلّم لها بعض المجاهدين ثمرة دمائهم وأرواحهم !!

أي نكدٍ هذا الذي تكرر مراراً مع المسلمين في تجارب شتى خلال حقبةٍ زمنية قصيرة في هذا العصر .. ولأجل ذلك لم يوفّقوا ولم يُمكّنوا رغم كثرة المخلصين والمجاهدين ووفرة المضحّين والشهداء ..

لماذا يجوز لدكتاتوريات وطواغيت ومجرمين وقتلة بل ومخانيث أن يقتحموا قصور الحكم في بلادنا على ظهر الدبابات ليحكمونا ويحكموا الأمة بأهوائهم وكفرياتهم ويدجّنوها ويطوّعوها لأوليائهم الغربيين والأمريكان ..

ولماذا جاز لمن كان قبلهم أن يتآمروا على الخلافة وينقلبوا عليها وينتزعوا الحكم من المسلمين ويحكموهم بأحكام المشركين بقوة السلاح .. ولا يجوز للمجاهدين المسلمين الموحدين ، أو يستنكف بعضهم ويتورعون من أن يتغلّبوا عليهم وعلى أمثالهم ، ويستردوا ما انتزع منهم ومن إسلامهم بالقوة نفسها فيطوّعوا العباد لله وحده ويخرجوهم من عبادة العباد ..

أيُّ تدجينٍ للهمم هذا ؟ وأي تخنيث للعزائم والعقول ؟

وأي انتكاس للأفكار يجعل المسلمين كالدجاج أو كالنعاج .. ويحظر عليهم في زمن القوة ما هم أولى الناس به من القوة والذبح والسيف الذي بُعث به نبيهم صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده ..

لا بد أن يعيد القائمون على الجهاد في بلاد المسلمين النظر في أهداف جهادهم وبرامج وخطط قتالهم ، ولا بدّ أن يحسموا في حساباتهم وبرامج هذا القتال ؛ أمر العمل لأجل التمكين للمسلمين في الأرض .

ولا بد مع ضرورة التركيز على ذلك وحث الخطا إليه ؛ أن يدرسوا ميادين قتالهم ويرجحوا الأنفع للمسلمين والأقرب إلى هذه الغاية المهمة ..

ولا بد أن ينتقوا قياداتهم بعناية ويراعوا فيها العلم بالشرع والوعي في الواقع والشجاعة والحزم والمبادرة وعدم التلكؤ أو

التردد عن تولي زمام الأمور عند الحقائق .. حتى لا تذهب ثمرات جهاد المجاهدين سدىً أو يقتطفها من لا خلاق لهم ..

وليتنبهوا إلى أن أكثر العمليات القتالية في بلاد المسلمين اليوم هو من جنس قتال النكاية وإن عظم شأنها ..

وعلى رأس ذلك كله ما حصل في واشنطن ونيويورك من عمليات ضخام خطط لها بإحكام فإنه لا يخرج على ضخامته عن هذا النوع من القتال ..

ومثل ذلك قتل الطاغوت السادات في فرصة سنحت للمسلمين في مصر وإقدامهم عليه دون أن يكون عندهم إمكانية تسلم زمام الأمور في البلاد فهو وإن أشفى صدور قوم مؤمنين لا يخرج عن النكاية ما دام لم يحقق لهم التمكين بل عجّل بولاية طاغوت آخر .

وحتى ما يقوم به المسلمون اليوم في العراق بل وفي فلسطين من قتال للأمريكان أو اليهود فإنه كذلك ما دام أهل الإسلام هناك أضعف وقياداتهم ومشايخهم أهزل من أن يتولوا قطف ثمار هذا القتال لو حصل فيهما شيء من التحرير ..

إذ لو حررت هذه البلاد أو حرر أجزاء منها من الأمريكان أو اليهود في ظل ضعف المسلمين اليوم وفقدانهم للقيادات الراشدة ، فتولى الحكم فيها علمانيون كفرة لما كان هذا من التمكين لدين الله في شيء ؛ فهو لا يعدو والحال كذلك عن كونه استبدالاً لطاغوت عربي بطاغوت أجنبي ..

ولقد كانت تجارب المجاهدين في أفغانستان والشيشان والبوسنة أحسن حالاً من حيث زخم الأنصار وحماسهم والصبغة الإسلامية القوية التي اصطبغت بها تلك الميادين ومع ذلك لم يقطف المجاهدون الصادقون فيها الثمار لأسباب يجب على القائمين على الجهاد دراستها وتأملها وإعادة النظر فيها ؛ جعلت سعي المسلمين وجهاد المجاهدين والشهداء لا يخرج في خاتمة المطاف عن قتال النكاية إلى قتال التمكين .

ومن هذه الأسباب كما قدمنا استنكاف أو عجز وعدم مقدرة المجاهدين الصادقين عن قطف ثمار الجهاد ؛ لضعفهم أمام موازين قوى أخرى في تلك البلاد أو لنزولهم - ويا للأسى - عند رغبات الأغلبية والجمهور الذين قال الله تعالى عنهم : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وذلك بالاحتكام إلى صناديق الإقتراع كما حصل في الشيشان حيث قفز مسخادوف إلى السلطة عبر تلك الصناديق ..

أو لمشاركتهم وتحالفهم مع الأحزاب المهترئة والمنحرفة والتي كان لها ثقل أقوى في الواقع وبين الناس مما ساعد قادتها أمثال رباني وسياف وأضرابهم من أن يتسلّقوا على جماجم الشهداء ودماء المجاهدين إلى كراسي السلطة بعد تحرير أفغانستان والقضاء على نظام نجيب فيها .. وهو أمر لم نتفاجأ به وإن تفاجأ به غيرنا ، فقد كنا نحذّر من إنحرافات تلك الأحزاب ونستنكف عن القتال في صفوفها وننبه على تصريحات قادتها الذين وإن كان أكثرهم يصطبغ بالصبغة الإسلامية إلا أنهم كانوا يعلنون صراحة لا بلحن القول ؛ أنهم يسعون إلى دولة إسلامية ديمقراطية !! ويصرّحون بأخوّتهم لكثير من طواغيت العرب والعجم ، والمكتوب كما يقال يقرأ من عنوانه ، فهؤلاء هم من سيقطف الثمار وسيتولى الأمور وهذا حالهم .. إلا أن المتحمسين كانوا يأبون ويقولون : وإن ، وإنْ .. أليس قتال أعداء الله عموما مشروع ؟

ألم يقل الله تعالى : (وقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) ؟

فقتال النكاية في أعداء الله عموما مشروع وإن لم نجن الثمار .. وهكذا كانت في النهاية طموحات القوم لا تتعدى وسط الحماس هذا النوع من القتال .. !!

هذه التجارب أشير إليها إشارة هنا وإن كان الواجب على الحركات الجهادية دراستها دراسة واعية ، والإعتبار من دروسها وتجاوز أخطاءها وعدم تكرارها واجترارها .. وليس هذا موضوع هذه الوقفة وإنما موضوعها حث المجاهدين على التوجه إلى

قتال التمكين والتركيز عليه ورعاية ثمراته وتولي قطافها .. والتنبيه إلى أن جهادهم وجهودهم في أكثر بقاع الأرض اليوم مبعثرة في أعمال لا تخرج عن قتال النكاية ، وإن كانت في بعض الأحيان قد تأخذ طابع السعي للتمكين أو التحرير إلا أنها في خاتمة المطاف لا تخرج عن قتال النكاية بسبب عدم نضوجهم أو مقدرتهم على قطف الثمار أو لانحرافهم وتخبطهم أو غير ذلك من الأسباب المتقدمة ، وتولي غيرهم لذلك ..

أخيراً إذا وضح الفرق بين نوعي القتال المذكورين وعلمت حاجة المسلمين إلى التركيز على قتال التمكين وأهمية توجيه طاقاتهم إليه ؛ ألخص بعض ما تقدم وأعرج على تنبيهات سريعة متعلقة بالموضوع ..

- لا يصح أن تنشغل الأمة كلها أو أكثرها بقتال النكاية وتهمل قتال التمكين أو التحرير ، بل يجب أن تركز الجهود على بقعة من بقاع الأرض للمسلمين فيها نوع من أنواع الشوكة أو القوة ولهم فيها مرجعية أو قيادة ذات بصر في الشرع والواقع تصلح أن يلتف الناس حولها ، ويسعون لتمكينها في الأرض ليقيموا للمسلمين دولة يأوون إليها وينطلقون منها ..

- من الخطأ أن تلهب عواطف الشباب ومشاعرهم لتوجيههم إلى قتال النكاية ويدفعوا بدافع الحماس إلى جبهات يُزمّر لها الإعلام ويُطبل دون دراسة لواقعها والثمرات المرجوّة منها ، ويُصرفون بذلك عن جبهات قد يكون التمكين ثمرة حقيقية لها لو أنها وجدت الإمكانات والأنصار ..

- من باب ميزان المصالح وفقهه ووجوب تقديم أعظم المصالح على الأدنى عند التعارض ؛ لا يجوز أن يُحبط قتال التمكين أو يُعطل أو تُبطل ثمراته بتقديم بعض أعمال النكاية عليه أو معارضته بها ، أو تعريضه للضرر بسببها ، عند من كانت عنده خطة وبرنامجاً لذلك ، وكان يحترم جهاده وطاقات المسلمين وجهودهم وأعمار شبابهم ودماءهم ..

* فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل كثير من المنافقين الذين أظهروا بعض الأذى في المدينة ، وقتلهم لا شك من النكاية في أعداء الله الممدوحة ، كما أقرّ اليهود فيها على خبثهم وأذاهم وذلك قبل الإثخان في الأرض واكتمال التمكين مع أنهم لم يكونوا ذمة ولا صاغرين ، فترك قتل أولئك وأجَّل هؤلاء ، حفاظا على التمكين الذي كان في أوله .. وهذا فيه من الفقه الذي يجب أن يتنبه إليه ما فيه ، فلما أعز الله المسلمين في بدر قام بعدها ببعض أعمال النكاية في اليهود فقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود ولكن لم يتوسع في ذلك وإنما اكتفى بقتل من كان يؤذيه ممن لا مفسدة على أهل الإسلام ودارهم في قتلهم إلى أن حصل له الإثخان في الأرض وتغيّرت الموازين فأنزل الله تعالى عليه قوله : (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ونحوها من الآيات ..

* ومن جنس ذلك أيضاً أمره لحذيفة لما بعثه يستطلع أمر الأحزاب حين أحاطوا بالمدينة (أن لا يحدث فيهم شيئاً) وفي رواية مسلم (لا تَذعِرهم عليّ) وامتناع حذيفة عن قتل أبي سفيان سيد القوم وقتله من أعظم النكاية في أعداء الله ، فتركه مع تيسره له وسهولته عليه عملا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يَذعرهم على المسلمين ، ففيه ترك قتال النكاية دفعاً ودرءاً للمفسدة التي قد يستجلبها ذلك على المسلمين ودارهم قبل اكتمال تمكينهم وإثخانهم في الأرض ..

ففي هذا الهدي وذاك تقديم مصلحة المسلمين الراجحة ومصلحة دفع الضرر البالغ عنهم وعن تمكينهم على قتال النكاية ..

- بل إن التضحيات التي تبذل في قتال النكاية لا ينبغي أن تعادل بتلك التي تبذل في سبيل تحقيق التمكين ..

فأنا أستوعب أن يترك الدعاة دعوتهم ومشاريعهم التربوية والدعوية والعلمية والدراسية في بلادهم ويفرغوا الساحة من الدعاة وطلبة العلم ويتوجهوا ليرجحوا كفة القتال في بلد تعقد الآمال فيه على التمكين أو التحرير ..

أما أن يتركوا دعوتهم أو يُعيَّروا بلزومها ، وتستنفر الطاقات وتفرغ الساحات من العاملين وأنصار الدين لأجل قتال لا يخرج عن كونه من قتال النكاية فليس هذا من فقه ميزان المصالح والمفاسد الشرعي ..

فقد قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ، أي : أصلح .

وقال سبحانه : (اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) فهذا أمر لعباده أن يتبعوا أصلح الأعمال وأحسنها نفعاً لدينهم ودنياهم .. (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) .

- وكذا لا يصح أن يُهيّج الشباب لترك دعوتهم ويُعيّروا بلزومها ويستنفروا ويزج بهم في معارك خاسرة بدعوى مؤازرة بعض من لا صبر لهم على الدعوة إلى الله ممن تعجل مصادمة غير محسومة مع أعداء الله ، أو تورط ببعض الأخطاء الأمنية فطورد من قبل النظام ، أو أي عمل آخر لا تخرج حقيقته عن قتال النكاية ما دام أولئك الشباب قد اختاروا برنامجاً دعوياً متئداً ، فمثل تلك الأعمال لا يصح أن تعارض بها البرامج الدعوية الصحيحة التي تكون على منهاج التوحيد فضلاً عن أن تكون سبباً في إهمالها أو تدميرها ، بخلاف قتال التمكين فله حساباته المختلفة .

- وفي قتال النكاية قد يتساهل في أشياء لا يجوز أن يتساهل بها في قتال التمكين ، خصوصاً في شأن اختيار القيادة التي يقاتل معها ، فقد يكتفى في اعمال النكاية بالقائد العسكري مع قصوره في العلم الشرعي وقد يتساهل ببعض معاصيه أو انحرافاته التي لا تصل إلى الكفر ، أما في قتال التمكين فينبغي على العقلاء أن لا يسلموا أزمة الجهاد إلا للقيادة الربانية الموحدة العارفة بالشرع الواعية بالواقع وتصلح للحكم بما أنزل الله ولقطف ثمار جهاد المجاهدين ، حتى لا تتكرر نكسات المسلمين هنا وهناك ..

وهذا أمر لا ينبغي التفريط به ما دام الإختيار بأيدي المجاهدين ، ومجاله واسعاً .. أما إذا ضاق الأمر فجواز القتال مع الأمير الفاجر لدفع الكافر مشروع من باب دفع أعظم الشرين أو المفسدتين باحتمال أدناهما ..

فإن أمكن بعد ذلك خلع الفاجر وتولية البرّ وجب ذلك ..

لكن حذار ثم حذار من عدّ اختيار الديمقراطية نظاماً للحكم أو موالاة طواغيت الشرق والغرب منهجا أو التكالب على الشرعية الدولية الكفرية والمشاركة بمؤسساتها ؛ أقول حذاري من اعتبار ذلك ونحوه من الطوام فجوراً وحسب ، فتختل الموازين وتنحرف التصورات وتتخبط الحسابات .

هذه بعض الأمور التي أردت التنبيه عليها في هذه الوقفة .. ولم يكن مرادي بحال التقليل من شأن قتال النكاية المضبوط بضوابط الشرع المراعي لمصالح المسلمين الأهم منها فالأهم ، الواعي والمظهر للجهاد الإسلامي بصورته المشرقة ، كما لم يكن قصدي أبداً الطعن في المجاهدين في سبيله ، فكل من يعرف خطابي ويتابع ما أكتب يعلم دفاعي عن الجهاد والمجاهدين عموماً ، بل وذبي عن غزوات نيويورك وواشنطن وأبطالها مع أنها لا تخرج عن هذا النوع كما قدمنا .. ومعاذ الله أن أطعن في زمن الخنوع والإنبطاح في أيّ مجاهد باع نفسه وروحه لله .. ولكنه الحرص على جهاد المسلمين وجهودهم وإمكاناتهم أن توجه إلى الأنفع والأصلح والأحسن لدين الله ..

ولذا أرجع وأختم هذا بأن أقول ؛ إنه وإن كان أكثر جهاد شباب الأمة اليوم متجه إلى قتال النكاية ، وكان هذا النوع من القتال لا يثمر تمكيناً عاجلاً ، وربما كان أكثره لا يكسر أعداء الله كسراً قاضياً ، بل وبعضه لا ينال منهم في كثير من الأحيان إلا نيلاً يسيراً ؛ ولكنه إذا كان وفق خطةٍ واضحة وضمن اختيارات واعية وبوصلة أو وجهة صافية غير مغبشة أو مشوشة ؛ فإن له ثمراته الكثيرة والعظيمة ، وقد يصير إن وفق أهله إلى وعي حقيقي في الواقع والإختيارات ؛ مدرسة يتربى فيها أبناء

المسلمين ويتخرج منها من سيتولون بإذن الله تعالى شأن قتال التمكين ..

فإن هؤلاء لن يهبطوا علينا من السماء ، كما وأنهم لن يأتوا من حضن جماعات الإرجاء ، ولن يخرجوا من داخل صناديق الإقتراع ..

بل لن يخرج أكثرهم إلا من خلف البنادق ومن حفر الخنادق ومن رحم جهاد المسلمين هنا وهناك ..

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)

الوقفة الثالثة عشر

(وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم)

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) النساء 94

فهذه الآية العظيمة نزلت في رجل مرّ بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنماً له فسلم عليهم ؛ فقالوا : لا يُسلّم علينا إلا ليتعوّذ منا ، فعمدوا إليه فقتلوه ، وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ..

وفي رواية تفرد بها أحمد أن الذي قتله قتله بعد أن أظهر الإسلام لشيء كان بينه وبينه في الجاهلية .. وعند ابن جرير أنه حياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم إحنة في الجاهلية فرماه رجل منهم بسهم فقتله ..

وروى البخاري تعليقا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمقداد : (إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فقتلته ، فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل) وروى البزار أن سبب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا للمقداد أن المقداد كان في سرية فأتوا على قوم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد .. وفيه أن الآية نزلت بسبب ذلك .

وقال ابن كثير عن قوله تعالى (فعند الله مغانم كثيرة) : (أي خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام وأظهر لكم الإيمان فتغافلتم عنه واتهمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أهـ .

ففي هذه الآية وسبب نزولها عبرة وعظة يحذرنا الله تعالى فيها من بعض أهواء النفس الإنسانية وشهواتها الخفية التي قد تميل إلى المكسب والغنيمة أو تنساق وراء الثارات النفسانية وغير ذلك من حظوظ النفس البشرية ورغباتها وتتعامى في خضم ذلك ولميلها إليه عن بعض ظواهر أو علامات العصمة وموانع الإباحة ، فتهجم على أهداف سهلة وقد تتجنب أهدافاً ذات شوكة لا لمصلحة الجهاد ؛ وإنما انسياقاً وراء حظوظ النفس وميولها (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) .. فنهانا الله عن ذلك وحذرنا منه وبين سبحانه أنه هو الذي منّ على المسلمين بالهداية وإظهار دينهم وعقيدتهم فإذا كان بعض المستضعفين لا زالوا في بعض الأماكن والأوقات لا يقدرون على إظهار دينهم ومفارقة دار الكفر فكذلك كنتم أنتم من قبل فمنّ الله عليكم بفضله وكرمه فأعزكم وأظهركم ؛ فتبينوا إذن ولا تتعجلوا بالحكم على أمثال هؤلاء ولا تهجموا على استباحة أموالهم ودمائهم معرضين عما يظهرونه لكم من علامات الإسلام ، فعند الله مغانم كثيرة ورزق وفير فأبواب الجهاد كثيرة ، والله قبل ذلك وبعده بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من دوافع النفس وخفاياها ، وهذا تهديد ووعيد كي يتق المسلم الله في جهاده وقتاله فيضبطه بضوابط الشرع ويصفيه من حظوظ النفس وشهواتها ..

فالنفس قد جبلت على كراهية القتال وما يكتنفه من مخاطر ، ولذلك قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ..) ولذا فهي تميل إلى تجنب القتال وتحب المغانم وتتخيّر الأهداف السهلة (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

قال تعالى عن المؤمنين في أول معركة خاضوها : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) هكذا أخبرنا الله عن خفايا نفوسنا وما تميل إليه وتوده من المغنم السهل الخالي من العناء والأذى والمخاطر وما تكرهه من القتال والمغامرة بالأرواح ، ولأن الله سبحانه أعلم منا بما ينفعنا وينفع ديننا (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ؛ فقد وجّهنا سبحانه واختار لنا ما يحبه لنا ولديننا وما

يريده شرعاً منا مما فيه إعزاز دينه وأوليائه وكبت الشرك وإذلال أهله ..

فقال عزوجل : (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) الأنفال .

والخلاصة .. أن الله يريد لجنده المجاهدين أن يتخيروا من الجهاد ..

- الأنفع للمسلمين والأنقى لدينهم ودعوتهم الذي يرفع راية الحق نقية واضحة من غير لبس ، إذ أن من أهم غايات الجهاد وثمراته إحقاق الحق والتمكين لأهله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته)

– والأنكى في الشرك والمشركين الذي يقطع دابرهم ويبطل باطلهم ويستأصل شركهم ..

وجعل في ذلك أيضاً الخير والمغنم الذي تحبه النفس (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم) رواه البخاري .

فلا داعي إذن أن يتتبع المجاهدون شيئاً من الأهداف المشبوهة سعيا وراء المغنم ، فإنهم سيجدون في خضم هذا الذي أحبه الله واختاره لهم مغانم كثيرة (فعند الله مغانم كثيرة) وقال تعالى : (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) ..

وهكذا فباتباع المجاهدين لأمر الله وما يحبه سبحانه لهم ويختاره يجمعون بين نصرة دين الله وإحقاقه وبين قطع دابر المشركين وإبطال باطلهم ، ويشفي الله صدورهم بإباحة أموال أخبث وألد أعدائهم لهم ..

وقد جمع الله ذلك للمؤمنين الأوائل وجعله من ثمرات جهادهم لما أحبوا ما أحبه واختاروا ما اختاره لهم ، فقال :

(فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم)

فلا ينبغي للمجاهد أن يستبدل الذي هو أدنى من الأهداف التي تميل إليها أهواء النفس – وإن كانت مشروعة في كثير من الأحيان – بما يحبه الله ويرتضيه لأهل هذا الجهاد ودينهم مما فيه إحقاق للحق وإبطال للباطل وقطع لدابر الكافرين .. أقول هذا على ضوء آيات الأنفال المتقدمة مع أن المفاضلة فيها بين ما يريده الله من القتال الأنكى والأقطع لأعداء الله المبطل لباطلهم وبين ما ودّه المؤمنون آن ذاك وكان أمراً مشروعاً غير مستنكر لا من أهل الإسلام ولا من غيرهم وهو غنيمة أموال كفارٍ حربيين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم وآذوهم وعذبوهم ؛ فكيف إذا ترك المقاتل الجهاد الأنقى والأنفع لدين الله والأنكى والأقطع لأعداء الله ، وذهب يتتبع لا أهدافاً سهلة مشروعة ، بل سهلة مشتبهة أو معصومة محرمة في كثير من الأحيان ؛ لا شك أن هذا يدخل تحت وعيدٍ وتهديد آية النساء المتقدمة (إن الله كان بما تعملون خبيراً) ..

واليوم نرى كثيراً من الشباب الفقراء من العلم الشرعي يتركون أهل الأوثان ويقاتلون أهل الإسلام شعروا أو من حيث لا يشعرون إذ يرغبون عن قتال أعداء الله المحاربين لأن في قتالهم كره وأذى ومخاطر ودماء ، ويتخيرون أهدافاً سهلة ، لا أقول أن أكثرها من عوام مجتمعاتنا الذين قد يتلطخون ببعض المكفرات المحتملة غير الصريحة ولا الظاهرة وحسب ، بل أكثرها من فسّاق المسلمين يغيرون على محالهم وحوانيتهم وبيوتهم ليغنموا أموالهم ويستحلوها لأدنى شبهة ويكفرونهم لأدنى سقطة دون مراعاة لواقع الإستضعاف ودون نظر في موانع وشروط التكفير هذا على فرض أن سقطاتهم تمت إلى المكفرات بصلة فكيف وقد رأينا من يستحل أموال النساء لتبرجهن أو لشبهة تحوم حول سلوكهن ، ومنهم من يختبر سائق سيارة أجرة بأن يوجهه إلى محل بيع للخمور فإن توجه استحل سلب ماله .. ومنهم من يخون الأمانة ويجحد الدّين أو يتهرب من سداده إستحلالاً لمال من يخالفه بعدم تكفير فلاناً من الطواغيت أو فلاناً من علماء السلاطين !!

وأخيراً بلغني عن بعض المتهوّرين الغلاة في ظل الفوضى العارمة اليوم في العراق تحت ظل الإحتلال الأمريكي ؛ أنهم تركوا قتال الصليبيين الأمريكان وتحولوا إلى الإغارة على عوام الشعب العراقي بدعوى لا أسخف منها ؛ حيث زعموا أن تركيبة الشعب العراقي تتوزع ما بين 60% رافضة وهم يكفرونهم دون تفريق بين رؤوس وعوام و20% ما بين صابئة وآشوريين ويزيديين من عبدة الشيطان و20% ما بين نصارى وبعثيين .. أو شيئا قريبا من هذا التقسيم السطحي العبثى الذي إضافة إلى اعتماده على دعاوى وإحصائيات الرافضة الكاذبة المضخمة لهم ؛ فإنه إحصاءٌ ظالم للمسلمين السنة إذ لم يبقى لهم وجود ..

وهو قبل ذلك إحصاء وتقسيم متبع لشهوات النفس التي تقدمت الإشارة إإليها ليسوغ به أصحابه الإغارة على كل بيت من بيوت العراقيين ممن لا شوكة لهم لتحصيل مغانم ومكاسب سهلة .. وهو تقسيم لا أظنه صادر إلا عن اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا في العراق ببركات الغزو الأمريكي لأراضيه ..

فليتق الله المنتسبون لهذا الدين أن يصير هدف جهادهم أو قتالهم مجرد جباية الأموال دون التفات إلى كونها من حلال أو حرام .. وليعلموا أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ولو كانوا عصاة فجاراً ؛ معصومة بعصمة الإسلام لا يجوز استحلالها ، وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فقال رجل : وإن كان شيئا يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : وإن قضيباً من أراك) .

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إن رجالا يتخوّضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة)

وقال في خطبته في حجة الوداع : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في

شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) متفق عليه .

والعالم بأصول هذا الدين الفقيه بقواعده يعلم أن مبناه في الدماء والفروج والأموال على الاحتياط ، حتى أنه درأ الحدود بالشبهات ، وجعل شبهة الأمان أماناً ، ومنع من زال اليقين الثابت سواء كان إسلاماً أم عصمة أم ذمة أم أماناً ؛ بالشك أو التخرص .. ومنع من التكفير بالمحتملات والظنون أو بلازم القول ومآله .. وغير ذلك مما أقامه لصيانة الدماء والأموال ..

وأيضا فالجهاد إذا أراد له أهله أن يكون كما يحب الله ويرضى فيجب أن تقدم فيه مصلحة الإسلام ويجرد من أهواء النفوس وتراعى فيه السياسة الشرعية والحرص على سمعة الجهاد فلا تطرح مسائله فقط على ضوء الحلال والحرام والمسلم والكافر والمعاهد والحربي بمفهومه الإصطلاحي أي غير المعاهد ولا المستأمن ولو لم يكن من المقاتلين .. بل يجب على من كان حريصاً على الجهاد ومصلحته خصوصاً قبل الإثخان في الأرض أن ينظر في ثمرات العمل والمصالح المترتبة عليه ويدرس المفاسد المترتبة عنه إن وجدت ويرجح بين هذه وتلك ، كما يجب التركيز على المحاربين المقاتلين دون غيرهم وكذا الطاعنين في الدين ، وتجنب قتل غير المقاتلين ممن لا يظهرون العداوة للمسلمين في ظل ديار الكفر بحيث لو وجدت دار الإسلام لكانوا أولى الناس بالذمة وأولى الناس بقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) فأي مصلحة للمسلمين باستهداف مثل هؤلاء واستعدائهم وهم يحترمون الإسلام وأهله ولا يطعنون في شرائعه مع أنهم ليسوا تحت سلطان الإسلام ...

هذه أمثلة ولفتات أردت بها توسيع آفاق ومدارك الشباب وتبصيرهم بها ، ففي ظل استضعاف المسلمين وشح مواردهم وإمكاناتهم يجب دائماً أن يركزوا كما قلنا مراراً على الأنقى من القتال الأنفع لدين الله والأنكى في أعداء الله .. وهذا الأمر يحتاج إلى علم بالشرع وبصر بالواقع وفقه لميزان المصالح

والمفاسد ، ولا يبرر التخبط في هذا الباب أو يسوّغ إقدام البعض على أهداف غير مشروعة أو مضرة بالجهاد وسمعته وبمصالح المسلمين ؛ دعاوى السعي وراء تمويل جهاد المسلمين أو نحو ذلك من الحجج والمبررات ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، والغاية عندنا نحن المسلمين لا تبرر الوسيلة ، بل للوسائل أحكام المقاصد ؛ ولذلك فلا بد أن تكون الوسائل الموصلة لتحقيق غايات الجهاد مشروعة ونظيفة كنظافة جهاد المسلمين ونقاوة دينهم ..

فليتق الله كل عامل لهذا الدين في هذا الجهاد العظيم .. وليضع نصب عينيه دائماً ما قاله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز : ((إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا)) .

الوقفة الرابعة عشر

الخطاب الإعلامي للدعوة والجهاد بين الإفراط والتفريط

في سيرة نبيّنا عليه الصلاة والسلام من الفوائد العظيمة ما يثري ويغني الدعوة والجهاد، ويُسدّد طريق الداعية والمجاهد ويُوفقه لما فيه خير الدعوة والجهاد، ويعود عليه بالثمرات العظيمة، كما يجنّبه المفاسد والثمرات الضارة المشوّهة أو الخبيثة..

والدارس الواعي لهذه السيرة العطرة العظيمة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، المتأمل فيها يعلم أن الله سبحانه وتعالى كان يوجّه نبيه صلى الله عليه وسلم كي ينتقي من الخطاب الدعوي والأعمال والاختيارات والأولويات ما يراعي به تارة..

! طبيعة المخاطب وخلفيته العقائدية أو الفكرية والأخلاقية وهذا يلزمه معرفة في الناس والرجال وعشائرهم وطبائعهم.

! ويراعي طبيعة المخاطب من حيث كونه معانداً للدعوة محارباً للدين أو غير محارب ولا معاند..

! وتارة تراه يراعي إمكانات الدعوة والطائفة المؤمنة أو طبيعة المرحلة والظرف والواقع والزمان..

يفعل ذلك كله وفقاً لميزان شرعي يراعي ويقدم أعظم المصالح عند تعارضها ويدرأ أعظم المفاسد عند تزاحمها دون إخلال بالثوابت الشرعية والعرى الوثقى والأركان الركينة للدين والتوحيد..

خذ على سبيل المثال في مراعاة طبيعة المخاطب وخلفيته الأخلاقية أو الاجتماعية أو الفكرية وما يعظمه ويحبه من المكارم والمحاسن.. خطابه صلى الله عليه وسلم الدعوي مع قومه في مطلع دعوته والذي يحدث به أبو سفيان يوم كان

عدواً له وينقله عنه إلى هرقل عظيم الروم لما سأله هرقل: ماذا يأمركم ؟ فقال بعد أن ذكر أصل خطاب النبي ورأسه وأسه وهو التوحيد؛ قال: (ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة).

فتأمل هذا الخطاب الذي رسخ في أذهان أعدائه آنذاك، وفي أحاديث أخرى ورد أمره لهم بوفاء العهد وأداء الأمانة وإحياء الموؤدة وإنكار قتلها ونحو ذلك من محاسن الأخلاق التي يجمع على حسنها جميع العقلاء وتمتدحها الفطرة ليعرّفهم ويظهر لهم محاسن دينه وأنه ما جاء إلا ليكمل محاسن الأخلاق التي يتباهى ويفاخر بها ويجلّها عقلاؤهم وأشرافهم..

ومن جنس ذلك خطابه لهم بملة إبراهيم وأنه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم الذي تعظمه قريش وتنتسب إليه..

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لهرقل في كتابه إليه بعد أن ذكر التوحيد: (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين).

فإن فيه إشارة وتنبيه للأريسيين وهم أهل مملكة هرقل إلى حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وبيان أن هرقل مسئول عن إضلالهم..

وهذا النوع من الخطاب أعني إظهار الأنبياء حرصهم على هداية أقوامهم وإظهارهم خوفهم عليهم من العذاب الأليم مقرّر في دعوة الأنبياء ومن ذلك قول نوح لقومه: **{يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم}**.

فأي حرج بعد هذا في مثل هذا الخطاب الذي يُظهر حرص الداعية أو المجاهد على هداية الناس أو حب الخير لهم أو نصرة المستضعفين وتخليصهم من تسلّط وإضلال الطغاة والظلمة لهم أو الحرص على نشر الأمن والعدل والإحسان ومحاربة الظلم والفساد والطغيان، والله لا يتحرج من هذا وينكره إلا

أصحاب العقول الضعيفة الجاهلون بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة سائر الأنبياء..

فديننا جاء لهداية الناس أجمعين ولإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد.. ورسولنا بعث رحمة للعالمين..

وليس في هذا الخطاب تحريف للأصول أو تمييع للثوابت أو مداهنة للكفار أو ركون، بل هو حق مشرق وثابت من ثوابت ديننا يجب على الداعية بيانه وإظهاره وإبرازه للناس كافة، ولا مانع من التركيز عليه وتعمد الدندنة حوله مع من يحب مثل هذه المحاسن أو يعظمها من الكفار..

ومن جنس هذا ما رواه البخاري في قصة الحديبية لما جاءه من طرف قريش رجلٌ من بني كنانة فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال صلى الله عليه وسلم: (هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له) فبعثت له، واستقبله الناس يُلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يُصدوا عن البيت)..

فتأمل معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّسه بأحوال الناس عموماً في زمانه، ومن جنس ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان يمانٍ والكفر قبل المشرق والسكينة في أهل الغنم، والفخر والرياءً، وفي رواية والخيلاء في الفدادين أهل الخيل والوبر)، ليُعرّف أصحابه بأحوال الناس وخلفيات من يتعاملون معهم، ولذلك لما أمر حسّان بهجاء قريش أمره أن يأتي أولا أبا بكر ليحدثه عنهم وعن أيامهم وأخبارهم.. ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب) فعرّفه أولاً بخلفيتهم العقائدية أو الثقافية سمها ما شئت، ثم دله كيف يتعامل معهم والأولويات التي يخاطبهم بها وبماذا يبدأ بدعوتهم، تأمل هذا كله وسجّله في فوائدك ثم تأمل خطابه وتعامله مع الناس على قدر عقولهم ومراعاته لما يعظمونه وإظهاره لهم وإبرازه وإعلانه ما دام من ديننا.. وإياك أن يضيق عقلك عن استيعابه أو تعدّه تلوّناً أو مداهنة أو نحوه من جهل

الجاهلين ففي البخاري عن علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله).

ومن مراعاته صلى الله عليه وسلم للمخاطب من جهة كونه معانداً محارباً أو مهادناً غير محارب ولا معاند.. تطبيقه الحكيم وعمله في سيرته بقوله تعالى: **{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون}**.

وقوله سبحانه: **{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم..}.**

ومن جنس ذلك قوله تعالى لموسى وهارون في شأن الطاغية فرعون في أول خطابٍ لهما معه: {**فقولا له قولا ليناً لعلّه يتذكر أو يخشى}..** فلما عاند الآيات الواضحات وجحدها واستكبر عنها.. قال له موسى: **{لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً}.**

فتأمل طبيعة خطابهم معه ابتداء وطبيعة الخطاب معه بعد عناده..

وخذ على سبيل المثال مراعاته إمكانات الدعوة والطائفة المؤمنة وطبيعة المرحلة والواقع في موضوع التدرج في تشريع الجهاد.. حيث كان الأمر أولاً بالكف والعفو والصفح والإعراض عن المشركين والصبر على أذاهم..

ثم لما هاجر المؤمنون ووجدوا المأوى والنصرة وكانوا في أوائل عهد دولتهم أذن لهم بالقتال لدفع أذى المشركين ولم يوجب عليهم القتال إيجابا..

وفي هذه الفترة كان صلى الله عليه وسلم يترك قتل من قد يترتب على قتله مفسدة على المسلمين فكان يسمع أذى المنافقين ويبلغه أذاهم ويطلب منه أصحابه قتلهم فيقول: (دعهم لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) وتارة يقول: (إذاً تُرْعَد له آنُفٌ كثيرة بيثرب).

وعاهد اليهود ووادعهم وأقرهم على أحلافهم التي كانوا عليها حتى إنه صلى الله عليه وسلم عاهدهم على أن يعينوه إذا حارب.. وكانوا بعد ذلك يؤذونه ويقولون راعنا وهو سب قبيح عندهم من الرعونة، ويقولون (اسمع غير مُسْمَع) ونحوه مما كان يصبر عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا يُسلّمون عليه بالسام عليك، فيقول (وعليكم) ولا يزيد على ذلك ولا يتعرض لهم ويترك قتلهم لأذاه ونهى أصحابه عن قتلهم لما استأمره بعضهم في ذلك، بل كان خطابه معهم رفيقا، ونهى عائشة رضي الله عنها عن سبّهم مقابلة لذلك وقال لها: (الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه) وكل ذلك لا شك من مراعاته للمرحلة التي كانت دولة المسلمين فيها ناشئة وتمكينهم في أوّله..

ثم كان الأمر بعد ذلك برد الاعتداء بمثله وقتال من أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم.

ثم أعز الله المسلمين ببدر وكان ذلك بداية عزتهم، حيث أذل ذلك رقاب أكثر الكفار الذين بالمدينة وأرهب سائر الكفار.. فقام صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة ببعض أعمال النكاية في بعض اليهود الذين لم يكن في قتلهم مفسدة على أهل الإسلام ودارهم، فقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود وأمثاله ولكنه لم يتوسع في ذلك بل اكتفى بقتل من كان يؤذيه ممن لا يحصل في قتله مفسدة، إلى أن استتب له الأمر أكثر في المدينة فأجلى من أجلاه منهم وقتل من قتله، كل ذلك فعله بعد غدرهم أو نقض عهودهم ليكون فعله جامعاً لأهل المدينة ومن فيهم من حدثاء الإسلام ممن كانت بينهم وبين اليهود تحالفات ومصالح، ولو فعله قبل ذلك ودون أن تبدر منهم بادرة لأرعدت لهم آنفٌ كثيرة، ولكنه الفقه والسياسة الشرعية الحكيمة التي

من جرمها تخبّط وأضاع مصالح المسلمين وضيّع من استرعاه الله أمرهم..

ثم لما حصل له الإثخان في الأرض أمر بقتال المشركين كافة وقتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.. وأمر بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم..

وهذا كله من مراعاة حال الفئة المؤمنة أو الدولة المسلمة وإمكاناتها وقوتها..

ولذلك فخطاب الفئة أو الدولة المسلمة حال ضعفها للأعداء الداخليين والخارجيين ليس هو كخطابها بعد زوال ضعفها وليس هو كخطابها بعد قوتها، وهذه القوة أيضا يختلف الخطاب والنهج فيها بحسب وزنها فخطاب الدولة المسلمة واختياراتها في زماننا قبل أن تمتلك السلاح النووي الرادع مثلا ليس كخطابها واختياراتها بعد أن تمتلكه.. وهكذا..

كل ذلك كما قدمنا دون مس بالثوابت أو تمييع للعرى الوثقى..

فالإحسان والمداراة التي هي من أخلاق المؤمنين وهي كما هو معلوم غير المداهنة، وكذا العفو والصفح والإعراض عن أذى المشركين وعدم بداءتهم بالقتال كل ذلك جائز حال ضعف المسلمين أو إذا اقتضته مصلحة الجماعة أو الدولة ولا يناقض أو يعارض ثوابت التوحيد والولاء والبراء ونحوها من العرى الوثقى..

ولأهمية هذا الأمر وكثرة النصوص فيه أخرج بعض العلماء التدرّج فيه من المنسوخ وعدّوه من المنسأ الذي يجوز للمسلم أن يختار منه ما يناسب حاله وقوته وضعفه وظرفه..

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.. وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر

الله ورسوله بيده أو لسانه، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) أهـ. الصارم المسلول.

ومن مراعاته صلى الله عليه وسلم لسمعة الدعوة حرصه على نقاوة الجهاد وطهارته من كل شائبة أنه كان يعلن براءته من الأخطاء الصريحة الواضحة التي صدرت من بعض أصحابه دون أدنى حرج من ذلك، فإن في ذلك تعظيم وتقديم لسمعة الجهاد والدعوة ومصلحتها على كل اعتبار آخر , وذلك كقوله لما قتل خالد رضي الله عنه بعض من اعتصموا بالسجود وقالوا صبئنا ولم يحسنوا أن يقولوا آمنا ,قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) وتنبه أنه برئ من صنعه وخطأه ولم يبرأ منه هو،ومن جنس ذلك إنكاره على أسامة لما قتل الرجل الذي أقر بشهادة التوحيد فقال له:(أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟)أو كيف تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟).

أو نحو ذلك، وجعل يرددها حتى تمنى أسامة رضي الله عنه أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم لما رأى من عظم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك...

ومن جنس ذلك أيضاً قصة قتل ابن الحضرمي في أول الشهر الحرام وتعيير الكفار للمؤمنين بذلك حيث لم يتضرر المؤمنون بهذا التعيير ولا جادلوا- حاشاهم- في ذلك بالباطل كرد فعل لتعيير الكفار لهم به، بل علمهم الله تعالى أن يقروا بالحق دوماً في خطابهم ويبرءوا من الخطأ ولو على أنفسهم حرصاً على سمعة الجهاد ونقاوته وتقديماً لمصلحته على أنفسهم ومصالحهم؛ فقال تعالى: {**يسألونك عن الشهر الحرام**

قتال فيه قل قتال فيه كبير} فعلمهم الله تعالى أن لا يماروا بمثل هذا وأن يسلّموا بالحق لأنهم أولى الناس بالحق وأسعدهم به، وأن لا يبرءوا منه في أي ظرف من الظروف بل يبرءوا من الخطأ ولو صدر منهم أو من إخوانهم لأن الحق مقدم عندهم وهو أحب إليهم من أنفسهم ومن الناس أجمعين، فيكون الرد على الكفار لا بالجدال بالباطل أو تمييع أمر الحق أو ترقيع الخطأ، بل بالإقرار بالحق والتبري من الخطأ وبيان أن جرائم الكفار أعظم من هذه الأخطاء التي يتصيدونها على المؤمنين وذلك قوله تعالى: {**وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل**}.

إذا تقرر هذا فإننا نفتقد اليوم الخطاب الإعلامي الناضج للدعوة والجهاد، وإن ما نراه اليوم من خطاب إعلامي للدعوة والقتال في نهج كثير من الطوائف المقاتلة وغيرها مضيّع بين طرفي نقيض..

فطائفة مالت به إلى التفريط فميّعت بخطابها الثوابت الدينية وأذابت الأصول ودكت الأركان والعرى التي لا تجوز المساومة فيها أو التنازل عنها..

فمنهم من آخى الكفار والملحدين واتخذ النصارى والملاحدة وأعداء الدين بطانة من دون المؤمنين..

فسمعنا ورأينا الموالاة والمؤاخاة بين قادة منتسبين للإسلام والجهاد وبين الملاحدة أو الطواغيت ورؤوس الكفر بحجج الخندق الواحد والعدو المشترك، والمصلحة المشتركة، وصارت الموالاة وفقا للحدود الجغرافية التي رسمها وحدّها سايكس و بيكو لا وفقاً لحدود الله.

وسمعنا الطعن في الجهاد والمجاهدين المخلصين والبراءة منهم ومن جهادهم وتولي طواغيت الحكم والنصارى ونحوهم والركون إليهم في ظل الوحدة الوطنية ومصلحة الوطن وأمنه و.. و.. إلخ..

وسمعنا خطاب التسيّب والتخبّط والتحلّل من عرى الدين وهدم أعظم أركانه وتحريف ثوابته والمشاركة بالشرك وتزيينه في خطابهم، واختياره نهجاً ومسلكاً سياسياً تحت مسمى الحسبة والشورى أو الجهاد الدستوري والكفاح البرلماني والنضال القانوني التشريعي، فاقترفوا الشرك الصراح والكفر البواح والموبقات بدعوى الخطاب الإعلامي الجامع والموحّد للأمة، وأحياناً بدعوى مصلحة الدعوة التي هدموا أعظم ثوابتها وذوّبوا أهم عراها..

وإذا تكلموا في الجهاد حرّفوا أسسه وأصوله وغاياته إرضاء للأعداء، ولوّنوا خطابهم ومسخوه ليأتي مسايراً لثقافة العولمة التي اندحر أمامها هؤلاء الأقزام وانهزموا، فتارة يمسخونه ويقلّمون مخالبه ليدجّنوه ويجعلونه دفاعيا، ويفرغون خطابهم من ثقافة الجوارح ليصبغوه بثقافة الدواجن بدعاوى التسامح والمحبة والخطاب الإعلامي المعتدل أو الموحد للقوى الوطنية!! ونحوها من الدعاوى والمسميات التي تذوّب عرى الولاء والبراء..

وتارة يقصرون أهدافه على التحرير من العدو الخارجي ويؤاخون في ظل جهادهم الوطني الجاهلي الذي يجمع تحت رايته الكفار والفجار؛ يؤاخون العدو الداخلي الذي غالبا ما يكون أخبث وأكفر من العدو الخارجي..

ومعلوم الفرق الواضح المبين بين السياسة النبوية الشرعية في الإعراض عن بعض الكفار والمنافقين أو موادعتهم ومعاهدتهم أو تأجيل قتالهم بل والتحالف معهم في بعض الظروف والأحوال دون إخلال بثوابت التوحيد وعرى الإيمان، وبين مؤاخاة أو موالاة أو موادّة عدو عدوي، أو ابن عشيرتي ووطني الذين برؤوا من الدين وناقضوا التوحيد بدعوى التخندق بخندق الوطن ومصلحته المشتركة ووحدته الوطنية ونحو ذلك من العلائق والوشائج والمرتكزات الجاهلية..

بل رأينا كثيراً من هؤلاء المتخبطين أهل الخطاب الانهزامي الاندحاري قد باعوا التوحيد الذي جاء فرقاً بين ملل الكفر

وفرقاناً بين الكفر والإيمان؛ واستعاضوا عنه بالوحدة الوطنية وأخوة النضال التي آخوا بها بين اليهود والنصارى وملل الكفر كلها في ظل الإيمان المائع الممسوخ الذي اخترعوه وجمعوا به بين أتباع الديانات السماوية وسموها الديانات التوحيدية!!

ومعلوم الفرق العظيم بين مداراة الطوائف المختلفة أو مهادنتهم ومعاهدتهم ومسايستهم أو معاشرتهم بالمعروف ما داموا لا يطعنون في ديننا، أو محالفتهم للحاجة والمرحلة، وترك قتالهم ولو طعنوا في ديننا وآذونا لأولويات أخرى أو لضعف الإمكانات ونحو ذلك من السياسة الشرعية؛ فرق بين هذا ومآخاتهم وتوليهم وموادتهم والركون إليهم أو مظاهرتهم وتقديمهم على المسلمين وهدم الثوابت والعرى الوثقى لسواد عيونهم ولتطييب خواطرهم والظهور بمظهر الدين (الموديرن) المرضي عنه عند الكفار..! فهذا كله من الاندحار والسقوط والانهزام وليس من السياسة الشرعية في شيء..

وفي مقابل هذا الخطاب الإنبطاحي الإنهزامي الذي ينسحق تحت بساطير الثقافة الغربية ويندحر أمام إرهاب أذنابها الفكري في بلادنا..

يقابل هذا التفريط خطاب قوم أفرطوا فلم يراعوا ما كان يراعيه النبي صلى الله عليه وسلم من ظروف وأحوال وأولويات، ولا يراعون إمكاناتهم وقوتهم وعدم إثخانهم في الأرض، ولا يقدمون حاجات أمتهم الماسة الراجحة أو يلتفتون إلى ميزان المصالح والمفاسد الشرعي..

فالبعض منهم ورغم إمكاناته المحدودة المكشوفة يتصرف ويواجه العالم بخطاب من يملك أسلحة الدمار الشامل، ويطلق تهديده ووعيده للدنيا كلها فيذعر العالم كله ويؤلبه على المسلمين في كل بقاع الأرض؛ لا أولوية عنده ولا مرحلية ولا سياسة شرعية.. ولا يهمه ما يترتب على خطابه الحماسي الأجوف من أذى وتضييق وتشديد على المسلمين..

ولا يلتفت أو يضع في حساباته معرفة واقع اليوم ومكائد الأعداء والأولى بالجهاد منهم، فلا يفرق بين جهة وجهة وبين نظام ونظام حيثما تيسرت له بعض الأسلحة والمتفجرات اختار ما يسهل من الأهداف دون أن ينظر في الفوائد والعوائد والمصالح والمفاسد..

وليس في برنامجه ولا في حساباته النظر في واقع البلد التي يتحرك فيها، وحال المسلمين فيها وموقفها من قضاياهم، ولا يفكر بدراسة حال أهلها ليختار من الخطاب الشرعي الناضج ما يناسب المرحلة والظرف والحال وما يحقق أعظم المصالح للإسلام والمسلمين ويدرأ عنهم أعظم المفاسد.. فذلك كله لا يعينه، وإذا راجعته بإطلاق أطلقه أو تصريح قذف به هنا أو هناك استغلته وسائل الإعلام لتشويه الدين والتأليب على المسلمين.. اكتفى في محاجته لك بقوله: أليس هذا من الدين.. ؟؟

ولم يراع مصلحة أو مفسدة.. ولا نظر في مهم وأهم وراجح ومرجوح أو فاضل ومفضول..

وفي الأثر الذي يرويه مسلم عن عبد الله بن مسعود: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

وعن عبد الرحمن بن مهدي: (لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع).

وسئل بعض أهل العلم عن شيء من العلم فلم يجب. فقال السائل: أما سمعت حديث (من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار) ؟ فقال: أترك اللجام واذهب! فإن جاء من يفقه وكتمته، فليلجمني به.

والعمل الجهادي أو الدعوي إذا لم يهيمن عليه عقل ناضج ويوظف بخطاب إعلامي واعٍ واضح وبرنامج محدد معلوم للأنصار ولعموم الناس فقد يوظفه أعداؤه لمآربهم ويصبغوه باللون والصبغة التي يريدون ويقطفون بخبثهم وبسطحية أهله من الثمرات الخبيثة ما يشتهون..

وقد سمعنا ورأينا من ذلك أمثلة كثيرة..

فرأينا من المتحمسين من تُسلّط عليه الأضواء وتُسخّر له منابر الإعلام من صحافة وتلفاز وغيره ما دام خطابه مصبوغاً بما يخدم بعض مصالح الأعداء كتهييج الناس على المسلمين وتأليبهم على الدعاة وحشد المبررات التي تسوغ قمعهم وتساعد على التضييق عليهم واستئصالهم، حتى أننا رأينا من تُسخر له وسائل الإعلام ليتحدث عبر الفضائيات عن الألغام الطائرة التي اخترعها تنظيمه، والبعض الآخر يتكلم عن خططه لامتلاك قنابل نووية.. وغيره يتوعّد بضربة مزلزلة في أمريكا ستحصد مائة ألف قتيل، وغيره يتكلم عن ضربة مذهلة ورد صاعق.. ونسمع هنا وهناك جعجعة يستغلها الأعداء ولا نرى طحناً.

والناظر إلى سياسات الدول التي تحترم مصالحها يرى من يمتلك منها مثل هذه القدرات حقاً وفعلا يراوغ كي لا يعترف بامتلاكها، وهؤلاء الشباب يلقون دون مبالاة بأمثال هذه التصريحات الرنانة وذلك الخطاب الناري الذي لا يخدم مصالح المسلين ولا جهادهم ولا يراعي استضعاف مستضعفيهم في كل مكان ويصبح وسيلة وذريعة يتخذها الأعداء لتحقيق مآربهم المختلفة..

كما رأينا من يُستغل ويُستعمل عبر وسائل الإعلام لبث خطابه المصبوغ بالطعن بالدعاة المخلصين ورموز الإسلام ومشايخه العظام كابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب أو سيد قطب ونحوهم لبعض الهنات التي أفنى عمره في التنبيش عنها بين طيات كتاباتهم العظيمة، فينطلق بغبائه بدافع تصفية الحسابات مع بعض الإتجاهات أو الجماعات المخالفة له ويسخّر جهده ووقته للطعن في أهل الدعوة والجهاد من العلماء والدعاة ويستغلّه ويستعمله الطواغيت في ذلك فينشرون له كتاباته ويسخّرون له منابرهم ووسائل إعلامهم، كل ذلك منهم لحرب الإسلام والجهاد وتشويه العلماء والمجاهدين وينساق الغر معهم بحماس وغباء لحسابات عنده خاصة وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

وأحياناً تُسخّر صفحات الجرائد لمقابلات مع بعض المتحمسين أو الغلاة ويمكنوا من نشر عقائدهم التي تحوي على كثير من التخليط عبر وسائل الإعلام ويُركز فيها عن عمد ويظهر تحديداً تكفيرهم لبعض المشايخ أو العلماء المشاهير أو تكفيرهم لبعض عوام الناس أو بعض أقطاب المعارضة للنظام ليحرف الطواغيت بذلك المعركة ويبعدون حربها وحرابها عنهم إلى أولئك المشايخ أو المعارضين أو عامة الشعب..

ثم ما يفتأ أن ينقلب الطواغيت إلى مدافعين عن الشعب وعن العلماء بل وعن المعارضين من هذه الأفكار التكفيرية والخارجية!! الضالة ونحوه مما يصفون به عموم الدعاة، وينبرون لقمعهم هم وغيرهم من الدعاة والمجاهدين تحت هذا الغطاء ويُسهّل لهم بعض السذج ذلك بانشغالهم بأشياء مرجوحة أو بمكفرات غير صريحة أو بفتح جبهات مع فجار أو كفار غير محاربين للدين فيشتتوا بذلك دائرة الصراع ويخلّطوا الأوراق..

ولو تأملوا سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وخطابه المراعي للمرحلة والحالة التي تمر بها الفئة المؤمنة وتدبروا قوله في بعض المراحل: (دعهم لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) لعرفوا الأولى فالأولى.. ولفقهوا كيف تورد الإبل.. ومن أين تؤكل الكتف..

وما أفقه الحسن يوم أنكر تحديث أنس للحجاج بحديث العرنيين وما عاقبهم النبي صلى الله عليه وسلم به!لأن الحجاج سيتخذها، بل اتخذها فعلاً وسيلة وذريعة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي!!

ولذلك أعتقد جازماً أن تصنيف بعض العلماء واجتهادهم في إثبات جواز كشف المرأة للوجه والكفين في زمن التحلل والتفسخ والتبرج والسفور، وتصديه بكل ما أوتي من قوة للرد على كل من خالفه وقال بوجوب سترهما ذلك غفلة منه عن مراعاة واقع أهل العصر وصاحبه قد حرم هذا الفقه بغض النظر عن صحة مذهبه أو خطئه...

ولشيء من هذا القبيل شُنّع على أخينا الشيخ أبي قتادة فك الله أسره وأسرنا في فتواه بخصوص قتل نساء وصبيان جنرالات الجزائر الذين كانوا يفعلون بنساء وصبيان المجاهدين الأفاعيل..

ومن يعرف طبيعة الجزائريين وشدّة الغالبية منهم إلا من رحم الله يرى أن أخانا لم يحالفه التوفيق في خطابهم بها، بغض النظر عن ظروف الفتوى ودواعيها وأدلتها، فهو إن شاء الله مجتهد له أجر على أقل الأحوال..

أما الغلاة منهم فلا يحتاجون لمثل هذه الفتوى والشيخ أصلا لم يحرّرها لهم، ولكنهم مع هذا ومع عداوتهم للشيخ وتكفير بعضهم له لا يؤمن أن يتخذوها ذريعة لمزيد من الجراءة على الدماء، وقد صارت هذه الفتوى عقبة يواجه بها الشيخ في كل آن، بل أطلقها خصومه غير المنصفين وعمّموها فصاروا يدّعون أنه أفتى بجواز قتل أطفال ونساء الجزائر هكذا عموماً، فعليهم من الله ما يستحقون..

وقد قال بعض الأدباء: إذا نطقت فاحسب كلماتك، وجَلِّها وأَبِنْ مقاصدها، ولا تجعلها حمّالة أوجه، ولا تُطلق ما قد يُساء فَهمه ويستشكل ويحتاج إلى شرح وتوضيح، فإن الخصم لا يذكر لك تأويلا.. وإن كان في قلبه مرض صرّف قولك ووجّهه كيف شاء..

ومن أمثلة الخطاب الإعلامي الذي لا يراعي إمكانات الفئة المجاهدة ولا يحسب لمعطيات الواقع حساباته ولا يراعي الأولى والأهم ولا يتعاطى مع المرحلة بأولوياتها.. ما قرأناه وسمعناه في بيانات بعض المجاهدين حديثا..

ففي الوقت الذي كان القتال فيه محتدماً بين فئات الشعب العراقي المختلفة وفي مدنه المتفرقة، والذي كانت تخرج علينا فيه طوائف الضلال التي فعلت ولا زالت تفعل بأهل السنة الأفاعيل، ليعلن رؤوسها ومرجعياتها وقادتها بل وعوامها على شاشات التلفزة أنهم يقفون إلى جنب أهالي الفلوجة – مع أنهم

لم يقفوا ولن يقفوا – وأن مصاب الفلوجة مصابهم والدم النازف فيها دمهم..

خرج علينا بعض المجاهدين الذين لا نشك في إخلاصهم وولائهم للدين، ولكن بنضوج خطابهم وخبراتهم وحسن اختيارهم وتوقيتهم؛ ليعلنوا للدنيا كلها بخطاب ساذج لا يراعي ظروف المجاهدين ولا إمكاناتهم ولا واقع البلد وطبيعة المرحلة يدعون فيه إلى إشعال الحرب على تلك الطوائف ويعلنون استهدافها وسعيهم لقتل رؤوسها ومرجعياتها بل وتبنيهم قتل من قتل منهم سابقا مع أن ذلك كان قد ألصق بلسان الطائفة والإعلام بالأمريكان، وصاحبنا بدلاً من أن يُصدّق ذلك ويؤكده توجيها للصراع إلى الأمريكان يُبرّئ ساحتهم ويتحمل هو ويُحمل المجاهدين ومن ثم أهل السنة تبعات دمه ودماء العشرات الذين قتلوا معه..

ليفتح المجال بذلك أمام أعداء الله من الصليبيين وغيرهم لاستغلال هذا الخطاب، وجعل صاحبه مشجباً للحرب الأهلية التي يحضّرون لها، كما قد حاولوا من قبل جعله رابطاً بين القاعدة وصدام، ويحرصون على أن يصبغوه بالصبغة الإرهابية المستهدفة لعوام الشعب العراقي بل ولعوام الشعب في بلده من خلال استغلال بعض العمليات المحبطة التي ينسبها له أحياناً بعض الشباب في اعترافاتهم أو ينسبها النظام له تلفيقا وتزويراً وبتشويه كبير في أحيان أخرى، وكم أتمنى أن ينضج خطابه ويوفق في اختياراته ليضيّع عليهم الفرصة ويمسي رمزاً من رموز الجهاد وبطلاً من أبطال مقاومة الاحتلال الصليبي يلتف حوله عموم المجاهدين بل وعموم أهل السنة هناك..

ولكن ذلك لا يكفي له الإخلاص والورع ولا الجرأة والشجاعة وحسب، فهذا قد يكفي للقادة الميدانيين وما أكثرهم أما القائد العام والرمز الذي يحرك الناس ويقود الجماهير والأمة بأمس الحاجة إليه اليوم فتلزمه خصال وصفات أخرى في مقدمتها نضوج الخطاب الإعلامي وحسن الاختيار ومعرفة الواقع لمراعاة ظروفه ومعطياته في كل خطوة واختيار، ويلزمه فهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان يخاطب كل أناس خطاباً

يوائم خلفيتهم ويراعي ظروف المرحلة وإمكانات المسلمين وأهم احتياجاتهم وأولوياتهم دون مس بالثوابت والأركان كما قدّمنا..

ولا يخرج ذلك الخطاب من السذاجة والسطحية أو يُبرّرهُ كون تلك الطوائف فعلت في أهل السنة الأفاعيل من خطف للنساء وقتل للعلماء واحتلال للمساجد ونحوه؛ فهم لخبثهم يفعلون ذلك وأكثر منه كما بلغنا عن الثقات ولكن بدهاء يمنعهم من أن يعلنوا عنه - لا كما يفعل صاحبنا - بل على العكس فهم يفعلون هذه الأفاعيل في مختلف مناطق العراق ويفعلون أشياء منها في إيران كما فعلوا مثلها من قبل في أفغانستان على أيدي حزب الوحدة الذي كان يتحالف مع جميع أعداء أهل السنة ولو كانوا من الشيوعيين، وكما فعلت منظمة أمل في لبنان في تل الزعتر وغيره.. وهكذا هم كلما سنحت لهم فرصة في التنكيل بأهل السنة لا يضيّعوها، أعرف هذا ولا يخفى عليّ، ولكن الحاصل اليوم لأهل السنة في العراق على أيديهم لا يتبنونه ولا يعلنون عنه أو يتخذون منه خطابا؛ بل على العكس فإن الصبغة المعلنة والظاهرة لخطابهم السياسي أن لا فرق بين السنة والشيعة وأن السنة إخوانهم ويعلنون هم وأعوانهم في إيران ولبنان عن وقوفهم إلى جنب أهل السنة واستنكارهم لما يحصل لهم في الفلوجة وفي فلسطين وغيرها ولا يثيرون في إعلامهم الخارجي قضية السنة والشيعة بل يحاولون في خطابهم المعلن - خلافاً للحقائق على أرض الواقع - تذويب هذه الفروق، وجعل طائفتهم مذهباً خامساً مضافاً إلى المذاهب الأربعة لأهل السنة لا طابوراً خامساً متآمراً عليهم منذ زمن هولاكو إلى اليوم، وهذا الخطاب لا تسمعه بالطبع في أماكن نفوذهم وتسلطهم على أهل السنة، لكنهم لا يعلنون عن أفاعيلهم كما يفعل السذج من أهل السنة، ولذلك ترى الأغرار من الناس اليوم يتهمون أهل السنة بالفتنة والتفرقة والسطحية، بينما يصفون تلك الطوائف بالاعتدال والنضوج الفكري والحرص على الوحدة، حتى إنهم لأجل ذلك ولتكريسه في أذهان الجهال لا يبثون عبر فضائيتهم أذانهم المخالف لأذان أهل السنة بألفاظه وأوقاته..!!

وإذا كان دينهم القائم على التقية يجيز لهم هذا النفاق والتلون والخداع كتلون وخداع الحرباء؛ فنحن لا نطالب مجاهدينا بالتقية أو التلون، بل نطالبهم بمراعاة إمكاناتهم وحجمهم وحاجات أمتهم وتقديم الأولويات في خطابهم الإعلامي وفي اختياراتهم العملية، وأن يفعّلوا فقه النبي صلى الله عليه وسلم الذي يفهم مما تقدم في قوله: (إذاً تُرْعَدِ له آنُفٌ كثيرة بيثرب) وقوله: (دعهم لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) فهذه الطائفة وأمثالها شاء المجاهدون أم أبوا محسوبة إعلاميا وعالميا على الإسلام كما كان المنافقون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم محسوبون على الإسلام، ولم تقتلعها الخلافة حتى يتمكن أولئك المجاهدون من استئصالها ببعض عمليات النكاية، فهي واقع يجب التعامل معه بالسياسة الشرعية والحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.. فالأصل أن يكون خطاب المجاهدين الإعلامي متجنباً الدعوة للصدام مع هذه الطوائف وإن احتيج لمثل ذلك طرح على سبيل دفع الصائل الذي يجوز حتى مع المسلمين ولا يطرح على أنه استراتيجية أو نهج يحرَّض عليه المسلمون؛ فيحسب عند المراقبين ويستغل عند الأعداء على أنه فتنة ودعوة من أصحابه إلى الحرب الأهلية في الوقت الذي يعلن فيه المعتدون الحقيقيون من أهل تلك الطائفة رفضهم للفتنة والحرب الأهلية ويدندنون في إعلامهم على أخوّتهم لأهل السنة ونبذهم للفرقة كذباً وزوراً..

والمقصود أنه لا ينبغي أن يتخذ دفع الصائل الذي هو استثناء يجوز حتى مع المسلمين؛ اختياراً أصليا وخطابا عاماً يُعلن للأمة ويحرض عليه المجاهدون عموما وعلنا..

بل يمكن ممارسة ذلك بدفع عدوان مثل هذه الطوائف ورد أذاها بل واغتيال رؤوس الكفر والتحريض والاعتداء والفتنة منهم إن لزم الأمر دون أن يتخذ ذلك خطاباً عاما وإعلانا لا يفرق بين المعتدي منهم وغيره ولا بين الرؤوس الضلال والعوام المضللين.. فخطاب الجهاد العام والأصيل والذي يتفق عليه عوام المسلمين وخواصهم لا يصح أن يذوب في فروعه أو يضيع بالانشغال في استثناءاته أو في اختيارات أخرى مرجوحة..

تماماً كما أنه لا يعقل أن يصطبغ مثلاً خطاب المجاهدين الإعلامي العام بالدندنة حول جواز قتل النساء والصبيان في البيات، وهو خطاب خاص استثنائي فرعي خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم خواص المجاهدين ليرفع عنه الحرج في الجهاد؛ فلا يصح ولا يعقل أن يتخذ هذا الخطاب الخاص ويُحوّل إلى خطاب إعلامي عام، فيطنطن على سبيل المثال حول جواز قتل النساء والذرية وتخاطب به الصحافة العالمية ويدندن حوله في الفضائيات والبيانات والإعلانات التي يخاطب بها العالم، بل يخاطب الناس بالخطاب الإسلامي العام الذي هو الأصل في الجهاد الإسلامي من النهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والزمنى والرهبان ونحوهم ممن لا يقاتلون ولا يعينون على قتال..

ولا يصح بحال ولا يعقل أن يُهمل الأصل ويخاطب الناس بالاستثناء..

ومثل ذلك ما تقدم من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، فقد كان إظهاراً وإعلاناً لمحاسن ديننا الأصيلة التي تنسجم مع الفطر ويجمع عليها جميع العقلاء ومن ذلك الصدق الذي ذكره أبو سفيان ونقله لهرقل؛ لا يعقل أن يُترك هذا الخطاب الأصيل في ديننا الذي يحث على الصدق ويحرم الكذب؛ ويستبدل بخطاب إعلامي عام يدندن على جواز الكذب في الحرب مثلا، ويجعل ذلك صبغة للخطاب الإسلامي أو يُساء استعماله ويتمادى به ويفتح على مصراعيه لغير حاجة حتى يوصم الدعاة بالكذب مع أن نبيهم صلى الله عليه وسلم كان يعرف عند أعدائه بالصادق الأمين!! فيتحول الفرع والاستثناء الذي خوطب به خواص المجاهدين لرفع الحرج عنهم في الحرب؛ ويصير أو يتخذ خطاباً عاما للناس والمدعوين..

صغار العقول والسطحيون يقولون: يا أخي هذا من ديننا ولا نستحيي أو نخجل منه، ولذلك فلا مانع عندهم ولا حرج من صبغ خطابهم العام به.

وأنا أقول: والله لا يستحيي منه إلا من كان في إيمانه دغل؛ ولكن سيرة نبينا وسياسته - إضافة إلى مراعاتها لواقع المرحلة وظروف المسلمين وإمكاناتهم - فرّقت في الخطاب الدعوي بين الأصول والقواعد المقررة التي يجب أن تتخذ خطاباً إعلاميا دعوياً عاما؛ وبين الفروع والاستثناءات أو الأحكام التي وردت أو شرعت لظروف مخصوصة وفي مراحل أو أحوال معينة أو هي من الخطاب الإسلامي الخاص ولا يصح أن يُشحن بها الخطاب العام.. ولا يفقه هذا ويتسع له صدره إلا من هداه الله ووفقه وعلّمه وبصّره..

ويناسب أن أختم هذا بلطيفة وقعت لأحد إخواننا مع طبيب للأسنان في السجن، وهي ترمز إلى واقع أكبر لكثير من المجاهدين والدعاة اليوم في عدم مراعاة خطابهم للواقع والمرحلة والظرف..

فقد كان ذلك الطبيب نصرانياً وكان أخونا محتاجا للعلاج عنده إذ لا طبيب غيره، وجرى حوار بينهما عما تقوم به القاعدة ومجاهدوها من أعمال هنا وهناك.. فكان فيما ردّ عليه الأخ أن قال له: أصلاً أنت لو وجدت الدولة الإسلامية فليس لك إلا الجزية أو السيف..!! وذكر ذلك بطريقة عصبية استفزازية..

أقول: هذا الخطاب الاستعلائي الذي واجه به صاحبنا ذلك الدكتور النصراني المعالج له!! يناسب قائداً من قادة المسلمين كعبادة بن الصامت أو المغيرة بن شعبة أو قتيبة بن مسلم يتقدم جيشه الجرار ليخاطب به طاغية معانداً متعجرفاً كعظيم الروم أو الفرس أو ملك مصر أو الصين؛ يواجهه به بين يدي الجلاد والقتال وضرب الرقاب وقطع الأوصال.. ولا يناسب أبداً أو يراعي الظرف والمرحلة والحال التي يسلم فيها صاحبنا فكّه ورأسه لمبضع ذلك الدكتور النصراني ليعالج له ضرسه!!

أيُضير صاحبنا شيء شرعاً أو يُعد مداهنا أو متنازلاً عن بعض الأصول أو مميّعاً لشيء من الثوابت لو أنه خاطب ذلك النصراني المعالج له والذي ليس بيننا وبينه في هذا الظرف إلا الدعوة؛ أقول: أكان يضيره شيئاً أن يخاطبه بخطاب التأليف

والترغيب والتبشير والتيسير الذي هو من ديننا ونحن مأمورون به أصلا مع من لم يحاربنا في الدين، ويتأكد ذلك كما تقدم حال استضعافنا..؟

فيقول له مثلا: إن النصراني في ظل دولة الإسلام لا يُجبر ولا يكره على تغيير دينه، وإذا احترم ديننا ولم يطعن فيه ورضي بأن يكون مواطناً للدولة بأن يدفع الجزية كانت له ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصارت له من الحقوق والأمن والأمان على نفسه وماله وعرضه ودينه ما لا يجده اليوم في أشد الدول تعصّباً للنصرانية..

ثم يبيّن له أن حقيقة الجزية أنها مبلغ زهيد لا يذكر في مقابل ما يأخذه طواغيت اليوم من مكوس وضرائب ومظالم في شتى مناحي الحياة، وهو أيضاً مبلغ لا قيمة له مقارنة مع ما يُعطى لصاحبه من استحقاقات ومواطنة وحماية في ظل دولة الإسلام، ويعفيه من زكاة المال التي تجب على المسلمين، كما يعفيه من المشاركة في الدفاع عن الوطن فلا تجنيد عليه ولا عسكرية أو جهاد بل يجب على الدولة حمايته وحماية ماله وذريته ما دام مواطناً فيها، ومَنْ آذاه فقد خفر ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام الذمي محترماً لقوانين الدولة المسلمة غير محارب للمسلمين ولا مظاهر لعدوهم أو طاعن في دينهم، وأن هذه الجزية كثيراً ما كانت ترد إلى النصارى أيام الخلافة عندما كانت الدولة تعجز عن حمايتهم في بعض أقطارها وكان كثير من الخلفاء يُسقطونها عمّن كبر وشاخ من أهل الذمة، وأن كثيراً من النصارى كانوا يقاتلون إلى جنب المسلمين طوعاً واختياراً ضد الروم والصليبيين من أبناء ملتهم لما عايشوه ورأوه من عدالة الإسلام، وما يعرفونه من ظلم أقوامهم الذين يأخذون منهم أضعافاً مضاعفة لتلك الجزية مكوساً وضرائب ومظالم.. إلى آخر ذلك من الخطاب الإسلامي الدعوي الأصيل، والذي هو حق لا مرية فيه في ديننا وليس فيه أدنى تحريف للأصول ولا تمييع للثوابت..

أقول: ألا ترى معي الفرق الشاسع والبون الواسع بين هذا الخطاب الذي يعرض الجزية بهذه الصورة المشرقة دون تنازل

عن الثوابت، فهو خطاب لا يجعل النصراني أخاً حبيباً، بل مواطناً آمناً له حقوقه المحفوظة والمكفولة.. وبين ذلك الخطاب الاستعلائي الذي يظهر الجزية كمسبّة، وربما عدّه ذلك النصراني صادراً عن الكبت السجوني كعادة أعداء الله في دعواهم أن خطاب الشدة والعنف من الإفرازات السجونية.. إذ هو خطاب يظهر الجزية لا كرسم مواطنة، بل كضريبة استرقاق وإهانة وإذلال.

الشيء الذي لا يتناسب مع واقع استضعاف أخينا ولا يلائم خطاب التبشير والدعوة إلى الدين الذي لا يملك في ظل القيد غيره..

على كل حال فلا زال أخونا إلى ساعة كتابة هذه السطور يدفع جزية أو ضريبة ذلك الخطاب الاستعلائي الذي جاء في غير محله ولا زال إلى اليوم يسعى في إصلاح ذلك الضرس الذي أتلفه ذلك النصراني على إثر ذلك الخطاب!! وقد قرأت عليه هذا واستفاد منه وأقره ليستفيد منه غيره والخلاصة.. أننا اليوم بحاجة إلى خطاب إسلامي ناضج واعٍ يهتم برفعة الدعوة والجهاد ويراعي حال المسلمين وأهم ما يحتاجونه ويقدم الأولويات ويرجح أعظم المصالح فيقدمها وأعظم المفاسد فيدرأها، خطاب لا يكون صاحبه بمعزل عن واقع الأمة وظروفها وإمكاناتها عموما وإمكانات المجاهدين خصوصاً.. ويعرف كيف يخاطب الأعداء كل بحسب حاله من خلال تبصّره بواقعهم وخلفياتهم الأخلاقية والسياسية والتاريخية والعقائدية وطبيعة شعوبهم ونقاط الضعف عندهم ومواضع الحساسية والتأثير؛ ليتوائم خطابه ويتلائم مع ما يحقق مصالح المسلمين ويكبت عدوّهم أو يضعضعه ويشتت شمله..

فلا يميل إلى خطاب أهل التفريط والتمييع الذين حطموا الأصول وتنازلوا عن الثوابت وهدموا الأركان بل وتبرّؤوا من الشرائع بحجة الاعتدال في الخطاب وإرضاء الأعداء أو عدم إسخاطهم، وحقيقة ذلك انسحاق تحت بساطير إرهابهم الفكري واندحار أمام عولمتهم وثقافتهم الفاسدة..

ولا إلى أهل الإفراط في عدم مراعاتهم لأولويات الجهاد وسمعته المشرقة ومصالح الأمة وظروفها وإمكانات المجاهدين ومعطيات الواقع والمرحلة، وخلفيات الأعداء وأحوال شعوبهم..

والله الهادي إلى سواء السبيل

الوقفة الخامسة عشر

عـقـوق الـدعـــــوة

(الفصامـيون)

كم أحزنني أن يخاطبني أحدهم وأنا معتقل في سجني وكان للتو راجعاً من أحد البلدان متحمساً للقتال هناك بقوله مستنكراً : ((أنتم إيش جالسين تعملون عندكم في هذه البلاد ! !))

وكان ذلك رداً متشنّجاً منه على تحفّظات ذكرتها له حول تهييج الشباب وتحميسهم للسفر إلى ذلك البلد وتفريغ الساحة بذلك من العاملين والدعاة . .

فقلت له : (لو قلتها لي وأنا في بيتي ومع زوجاتي وأولادي لما أحزنني هذا أبداً) مع أني بفضل الله قد جعلت حياتي كلها للدعوة ، وزوجاتي يعرفن أن دعوة التوحيد هي شريكتهن الثالثة ، والتي لها التقديم والصدارة ونصيب الأسد وأرجو من الله تعالى أن ألقاه وأنا مائل إليها ، وهو ميل لا يزعج أهلي بحال بل يقر أعينهن بفضل الله ..

(أما أن يُخاطبني بها وأنا خلف أشباك الأسر وقضبانه فأظن أن ذلك غفلة منه وعيب ..)

وأنا هنا لا أمنّ على ديني ودعوتي بسجني وبلائي ، وأعوذ بالله من ذلك وأستغفره سبحانه وأسأله أن يتقبل أعمالنا كلها .. فلولاه عز وجل لما اهتدينا ولما دعونا ولما جاهدنا ولما ثبتنا في الأسر ولا في غيره ولكني أردت لفت نظر ذلك المخاصم إلى أن البديل عن النفير إلى تلكم الجبهات التي يحرّض عليها ونتحفظ نحن على تحريضه ، ليس البديل دوماً هو النوم والقعود والركون إلى الأولاد والزوجات والدنيا ، كما يراه أو يظنه هؤلاء الذين سميتهم بالفصاميين ، أو الخصاميين ؛ لأنهم ابتدعوا لنا فصاماً نكداً وخصاماً غريباً عجيبا بين الدعوة والجهاد !!

لذلك فإن ألمي من خطاب ذلك الصاحب ليس لأجل شخصي بقدر ما هو لأجل الدعوة التي أحتسب عند الله أني بسببها خلف القضبان ويستخف صاحبي بالاشتغال بها ..

وكم آلمني ويؤلمني هذا الفصام والخصام النكد بين دعوة التوحيد والجهاد والذي استشرى بين هؤلاء الشباب المتحمسين ، بدعوى عجيبة ذكرها ذلك الصاحب حين قال : (يا صاحبي بعد أحداث أيلول لم يعد هناك دعوة الآن لا دور إلا للقتال !!) ..

عجيب هذا التقرير والتأريخ من صاحبي هذا وأحمد الله تعالى أني لم أسمعه إلى الآن من غيره ، فبادرت إلى الكتابة فيه فوراً وعجلا كي أستأصل شأفة هذا الفصام وأقطع دابره ..

أيها الصاحب العزيز لن أقرّعك أو أرميك بالجهل وضحالة التكفير وضيف الأفق وقصر النظر وسطحية الفهم ، وإن كنت بفهمك ذلك ليس بعيداً من هذا كله .. لن أقابلك بذلك في مقابل رمي أمثالك من الفصاميين لأصحاب الدعوة بالقعود والركون إلى الدنيا والأولاد والزوجات .. فما هكذا تُعالج الأمراض وما هكذا يُستشفى من العلل .. ولكني سأقول لك اجلس معي نتحاور بهدوء ، وافتح لي قلبك وصدرك ودعنا من التعنّت والمناكفة ..

أسألك أولا أيها الصديق ؛ من أين خرجت أنت وإخوانك وقادتك المجاهدون فلان وفلان وفلان .. ؟

أليس من رحم الدعوة إلى الله قد خرجوا ؟

ومن الذي بفضل الله أخذ بيدك واستلك من بين مناهج دعوات الضلالة والتفريط والإرجاء وجنبك مزالق الغلو والإفراط في التكفير ووجهك إلى هذه البصيرة في الفهم والتوحيد ؟ أليس ذلك كله ببركات دعوة التوحيد المتميزة ودعاتها ..؟ فلماذا هذا التنكر والعقوق ؟! ثم ما الذي أوجد هذا الجهاد المتميّز المبارك الذي كنا نتطلّع إليه ونحلم به منذ عقود ، أليست هي الدعوة المتميزة إلى الله ؟ ..

أيها الحبيب والله الذي لا إله غيره لقد رأيتني في بيشاور مراتٍ ومرات وفي أفغانستان مثل ذلك وعرض عليّ أثناء ذلك مراراً لقاء بعض قادة الجهاد الذين أعد بعضهم اليوم من سادات المجاهدين في زماننا وزينة أهل العصر ، فكان عندي آنذاك – كما قال عبد الله بن المبارك في بعض الرواة المتكلم فيهم – (أن ألقى بعرة أحبّ إليّ من ألقى أحدهم ..) لأن بصائرهم وقتها كانت زائغة في طواغيت الحكم وأنصارهم وكانوا يتخبطون في العلاقات أو التحالفات مع كثير من رؤوس الضلالة ممن قد بصّرنا الله تعالى فيهم وفي انحرافاتهم في وقت مبكّر كان فيه بعض هؤلاء الفصاميين يسهرون في حراسة أولئك الرؤوس الضلاّل ويبذلون مهجهم لحمايتهم والقتال معهم ، ثم افتضح أمرهم اليوم للقاصي والداني .. أقول :ما الذي نقل أمثال أولئك في قلوبنا من مقام البعرة إلى مقام الدرة والشامة في جبين المجد .. ؟ أليست هي بركات الدعوة وثمراتها وكتاباتها ومصنفاتها وشيوخها ؟؟ الدعوة التي يجب أن تبقى مواكبة للجهاد مسايرة له لا تعطله ولا يعطلها .. فمن أين جئتنا أيها الصاحب بهذا الفصام النكد ؟

أيها الحبيب .. ما أردت إفهامك إياه ولم تحسن الاستماع والإنصات وقتها إليه – كما هو شأن أكثر الفصاميين فإنهم للأسف لا يحسنون السماع ، مع أن من أهم آداب طالب العلم حسن الاستماع ؛ هو أمر في غاية الأهمية فافتح قلبك لعلك تعيه ..

إذا ما أردنا أيها الأخ المفاضلة بين الدعوة والجهاد ..

سألنا أولا : ما نوع الدعوة التي توضع في الكفة المقابلة للجهاد ؟

وثانيا : ما نوع الجهاد الذي نريد وضعه في الكفة الأخرى ؟

فإذا كان الكلام عن دعوة من الدعوات المنحرفة أو الإرجائية أو دعوة مسخّرة للأنظمة ، مدجّنة للطواغيت ، مطوّعة لسياساتهم ، أو دعوة برلمانية دستورية تشريعية ؛ فسحقا ثم سحقاً لهكذا دعوات . . ولا مجال للمقارنة والموازنة بينها وبين أدنى أنواع الجهاد ..

وكل عاقل يعرفنا يعرف أننا بفضل الله وتوفيقه أبعد الناس وأبرئهم من هذه الدعوات .. وأننا حين نتكلم عن الدعوة أو نذكرها فلا نعني شيئاً غير دعوة التوحيد المباركة المتميزة الجامعة الشاملة التي لا تفرّط بجانب من جوانب التوحيد ولا تميّع أو تلمّع نوعاً من أنواع الشرك ، الدعوة التي أوثق عراها الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله ، ملة إبراهيم ودعوة خاتم الأنبياء والمرسلين ..

فضع أيها الحبيب هذه الدعوة في كفة الميزان الأولى ، وتعال والتفت معي الآن إلى الكفة الأخرى . .

فأي جهاد أو قتال ذاك الذي تعنيه . . ؟

أقتال متخبّط تحت رايات جاهلية ؟ لا أظنك تعني هذا فهذه ليست أبجدياتنا ولا يعنينا مثل هذا القتال ولا نعمة ولا كرامة لمثله أن نضع له اعتباراً ؛ فضلا عن أن نقارنه ونوازنه بدعوة التوحيد ..

أم قتال يخلط بين الإسلام والوطنية الجاهلية ، مسحة إسلامية ممزوجة بمسخة دخن وزيغ جاهلية ، يظلل تحت لوائه وفي ظل وحدته الوطنية المسلمين والمجرمين والكفار والفجار ، ويجعل العلاقة بينهم علاقة الأخ مع أخيه أو الابن مع أبيه في ظل المصلحة والعدو المشترك الذي عليه تتوحد الصفوف المتخبطة وتجتمع الرايات المتناقضة ؛ ولأني أعرف محدثي ، فهو قطعاً لا يقصد هذا ، ولو قصده لطاشت كفته وطارت ولرجحت به دون أدنى شك كفة دعوة التوحيد ..

بقي أن نقول أن صاحبنا الفصامي الخصامي ؛ يقصد جهاداً نظيفاً من كل هذا ؛ جُنده من رحم دعوة التوحيد قد خرجوا ، وفي ظلالها قد تربّوا ودرجوا ، جهاد يكفر بطواغيت الكفر كلها ويبرأ من الرايات الجاهلية والتوجهات الضلالية ؛ فعلى الرأس والعين وحيّ هلا بمثل هذا الجهاد الذي ما نعد أنفسنا ونربي أبناءنا وإخواننا إلا لمثله ، ولم نخاصمه ولن نفصمه عن الدعوة في يوم من الأيام ..

لكن ومع هذا كله وما دام صاحبي ومثله قوم كثر للأسف قد ابتدعوا خصاماً وفصاماً بين هذا الجهاد والدعوة التي أثمرته ..

ولذلك فطالما سمعنا منهم أشياء من قبيل ما أسمعنيه ذلك الصاحب ، وإذا كان هو قد خاطبني به من خلف قضبان سجني على حدة وابتدع لهذا الفصام ذلك التأريخ (أيلول) ؛ فغيره قد أطلقوه بلا تاريخ وأعلنوه في أشرطة مسجلة وجهوها للأمة بثتها الفضائيات ، أو في بيانات طنانة وتصريحات رنانة ضربت بها أكباد المطي في كل وجه من أرجاء المعمورة عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها ؛ فعيّروا إخوانهم لزومهم لدعوتهم ورموهم بالتقصير ، واعتبروا لزوم الدعوة قعوداً وتخلّفاً عن الجهاد ، مع أن هؤلاء الفصاميين لولا دعوة التوحيد لما كان جهادهم وكلامهم وأشرطتهم وبياناتهم على الجادة ، ولولاها لما ساووا عندنا بعرة كما تقدم ، إذ أنهم في أحضان دعوة التوحيد شبّوا وترعرعوا ، ومن كتابات مشايخها ودعاتها قد رضعوا ؛ فعلام إذن يعضون ثدي هذه الدعوة المباركة التي من ألبانها نبتت أجسادهم وصحت توجهاتهم وبما اغتذوه منها نمت عضلاتهم واستقامت على الجادة مناهجهم ؟! ولولا تلك الحضانة وتلكم الرضاعة لأصابهم ما الله به عليم من الآفات والتشوهات والإعاقات المنتشرة بين الفرق والطوائف والجماعات في زماننا ..

وإذا كان الواقع كذلك فيحق لنا هنا أن نوقفهم ونسألهم : عن نوع الجهاد الذي فضّلوه على دعوة التوحيد الحقة وابتدعوا بينها وبينه هذا الفصام والخصام النكد !!

فإن أجابوا بأنه جهاد دفع ؛ قلنا لهم : الدنيا كلها اليوم دار كفر ، والمسلمون فيها مستضعفون وديارهم كلها مسلوبة محتلة مغتصبة إما من كفار خارجيين أو من كفار داخليين موالين للكفار الخارجيين ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة ، ولذلك فجهاد كل مسلم في ظل هذا الواقع يمكن لصاحبه أن يُخرجه على أنه قتال دفع .. ولكن سؤالنا تحديداً عن نوع هذا الجهاد من حيث ثمرته وفائدته وعائدته المرجوة على الإسلام والمسلمين ، ولا أعني هنا الحديث عن ضمان النتائج أو اشتراط قطف الثمرات ، فهذا أمر بيد الله وليس بأيدي المجاهدين ، ولا أعنيه ، فلا داعي

لخلطه بسطحية فجّة بمرادي وسؤالي الذي لا يحسن أن يجيبني عليه لكاع متحمس سطحي قصير النظر ..

فهو سؤال يُميّز ويبحث وينبش عن أهداف القتال وغاياته والثمرة التي من أجله أعد برنامج هذا القتال وله أعد جنده ودربوا ووجهوا ..

ولذلك فلن يجيبني على هذا السؤال بتؤدة ونضوج ؛ إلا امرؤ متبصر بواقع الأمة وتآمر أعدائها على شرائع الإسلام وتوحّدهم في وجه تمكينها وتحكيمها ، وعظم حاجة المسلين اليوم لهذا التمكين والتحكيم ،ويتحرق على تبعثر جهد أبنائها ويتألم على تشتت إمكاناتها ويؤرقه الحرص على توجيه مواردها إلى أنفع الأعمال وأعظم النتائج امرؤ يُحسن الموازنة بين المصالح والمفاسد ويعرف أن إقامة دين الله والتمكين له في مثل هذا الواقع لا تتم بمجرد تفجير خمارة أو دار للسينما أو نحوه من أعمال الحسبة التي يمارسها بعض الشباب المسلم اليوم ، أو بعملية أو بضع عمليات يقتل فيها بعض المحاربين هنا وهناك ، وإنما يحتاج مثل هذا الأمر العظيم إلى عمل متكامل وجهد متواصل ، ومتصل بالعلماء والدعاة الربانيين الذين تجتمع عليهم الأمة غير مفاصم ولا مخاصم لهم أو لعلمهم ودعوتهم ، ويحتاج إلى جانب العمل العسكري إلى عمل دعوي تربوي خاص يحتضن العصبة المؤمنة والطائفة التي ستوجه وتقود الناس ، وعمل دعوي آخر جماهري عام إلى جنب جهد سياسي شرعي وخطاب إعلامي دعوي ناضج بصير ونحو ذلك من دعائم ولوازم مثل ذلك الهدف الجليل والغاية العظيمة .

فإذا ما ظفرت بامرئ ذي بصر وبعد نظر ويتمتع بمثل هذا الفهم الشامل والعميق ؛ فأظنه سيقول لك بعد أن يتأمل يمنة ويسرة في واقع أكثر جبهات القتال اليوم والعمليات الجهادية المتفرقة هنا وهناك ، ويتدبّر موازين القوى وحال مرجعيات أهل السنة ورؤوسهم ؛ سيقول لك بأن القتال في أكثرها – ومن ذلك ما خاصمني فيه محدثي بالاتفاق – لا يعدو قتال نكاية في أعداء الله ، ولا يتأمل هو ومن معه أن يقطفوا منه في واقع الحال ثمرة تمكين .. حتى إنه قال جوابا على سؤالي عن ثمار ذلك القتال

،وهل يعّول فيها على التمكين .. قال : هذه الثمرة أقرب إلى تل أبيب منها إلى تلك البلاد ، وذلك بسبب ما شاهده من بعد أهلها عن الدين وانحراف دعاتها وعلمائها وتهلهل وتخبّط الجماعات المنتسبة إلى الإسلام فيها ، وتولي كثير من الناس للأمريكان وكون موازين القوى التي تؤهل لقطف الثمار في أيدي طوائف الكفر والضلال ، وهي تنتظر وتتربص وتمارس العمل السياسي والإعلامي والتنظيمي والشعبي ، وتعمل على توجيه قواها الشعبية وتنظيمها ضاغطة لتحصد هذه الثمار ..

بينما أعظم ما يأمله صاحبنا ومن معه ويتطلعون إليه بعض أعمال النكاية في أعداء الله وفي عملائهم وأن يكدروا على أعداء الله الصليبيين استقرارهم بأمان في تلك البلاد ، وقد يتمكنوا من التسبّب بانسحابهم على المدى البعيد لكن بعمل مضن وجهد مركز ومتواصل وتضحيات كثيرة ، هذا أقصى ما يتأملوه !! لكنّهم يسلمون بأن ذلك إذا حصل فلا قدرة لهم ولا للمنتسبين لأهل السنة هناك على قطف ثمار ذلك والقبض على زمام الأمور بل سيقطفها غيرهم من فرق الضلالة أو أهل الإلحاد في ظل المعطيات الحالية وموازين القوى ..أسأل الله تعالى أن ينصر جنده ويمكن لعباده الموحدين

إذن فهذا القتال الذي يخاصم صاحبي وكثير من الشباب به دعوة التوحيد ويفاصمها حقيقته كما يقر أصحابه لا يعدو عن كونه قتال نكاية ، ولا يؤملون منه تمكيناً لأهل الإسلام ودينهم .. ومثل هذا القتال موجود في أكثر أصقاع الدنيا اليوم ، ولا مزيّة أو خصوصية للبقعة التي يتحمس لها صاحبي عن غيرها في هذا القتال بل على العكس فلقتال النكاية في بقاع أخرى كفلسطين مزية وخصوصية لأجل المسجد الأقصى وكأفغانستان لأجل شوكة الطالبان التي قد يؤمل رجوع تمكينها بها أو الشيشان حيث لامزاحم للمجاهدين هناك ولطبيعة البلدين الجغرافية فلذلك كله مزية وتقديم في حسابات من يعوّل على قتال النكاية ويؤمل منه بعض الثمرات المفيدة لأهل الإسلام من جهة التحرير أو التمكين ولو على المدى البعيد إن سلمت واستقامت تلك الثمرات للمجاهدين عند قطافها..

أضف إلى هذا ضعف الخطاب المرافق لذلك القتال الذي يتحمس له صاحبنا وتهلهله ، وقتال النكاية إن لم يرافقه خطاب ناضج واعٍ يبين عن الجهاد ويسمع أهدافه النظيفة للناس وينقل غاياته المشرقة للعالم وينقيه مما قد ينسب إليه أو يشوبه من التخليط والتشويه ؛ وإلا فقد يستغله ويستثمره الأعداء ويصير وسيلة يشوهون بها الدين والدعوة ويحرضون بها على الإسلام والمسلمين ولذلك فإن بعض أنواع القتال أو الأعمال الجهادية التي لا تندرج قطعاً تحت قتال التمكين وربما لا تنكأ عدواً أيضا ؛ تقدم قطعاً عندي على هذا القتال الذي يتحمس له صاحبنا ويخاصم الدعوة لأجله إذا كان في تلك الأنواع ثمرات وآثاراً من جنس آثار التمكين كتخليص لبعض المستضعفين

وفك للعناة وتحرير لأسارى المسلمين من قيد الأسر ومن تعذيب الكفار لهم وإذلالهم وقهرهم وتسلطهم ، فهذه الثمرات التي هي من جنس آثار التمكين الذي يخرج العباد من سلطان الكفر إلى سلطان الإسلام ؛ أعظم دون شك من النكاية المجردة في أعداء الله وأعظم من كثير من أعمال الحسبة التي يمارسها كثير من الشباب كتفجير خمارة هنا أو تدمير ملهى هناك ..

أما دعوة التوحيد المباركة التي تعمل وفق برنامج ناضج وتوجيه حكيم وعمل مثابر و دءوب فلها حساباتها الأخرى ، ولاشك أنها تقدم على ذلك كله وترجح عليه لأنها جزء لا يتجزأ من جهاد التمكين الذي هو أمسّ ما يحتاج إليه المسلمون اليوم ليخرجوا به العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ولذلك فلا بد للمسلمين من تقديمه وجعله من أولوياتهم ولا بد لهم من توجيه جهودهم إليه وتركيز جهادهم عليه وحشد طاقاتهم من أجله ..

ولكن مع الأسف الشديد وفي ظل الحماس الأجوف المنتشر بين هؤلاء الفصاميين يُخرج كثير منهم الدعوة ويفصمونها عن مفهوم الجهاد ولا يفهم كثير منهم من الجهاد إلا (الطخطخة) المجردة التي لا ترتبط بدعوة أو برنامج أو منهاج .. وكم يؤلمني هذا ، وأشد منه إيلاماً أن يوجد في مرجعيات هؤلاء الشباب ورؤوسهم وموجهيهم من يكرس ذلك ويؤكده في أفهامهم .

ولذلك قلت للمجموعة التي أنا موقوف معها الآن في هذه القضية الجديدة وقلت لأمثالهم في قضايا سابقة أيضا يوم شاوروني ببعض أعمال النكاية التي يزمعون القيام بها رغم قلة خبرتهم العسكرية وتهلهل أحوالهم الأمنية ..

فنصحت بعضهم أن يشتغلوا بدعوة التوحيد وحاولت بيان قلة جدوى بعض الأعمال التي ذكروها وعدم شرعية البعض الآخر ..

وقلت لمن كنت أعقد عليهم آمالاً في الدعوة إلى التوحيد : (لقد خيّبتم آمالي .. !!) لأني كنت أرى أن اشتغالهم في الدعوة بين عشائرهم وفي مناطقهم أنفع للدين ولدعوة التوحيد والجهاد أيضا عند من يفقه الجهاد بشموليته وأركانه واحتياجاته خصوصاً وأن فيهم إمام المسجد والخطيب والمعلم ويحسنون الدعوة أكثر من غيرها ، ولكن للأسف فإن الشحنات الحماسية التي يحقن بها هؤلاء الشباب أنفسهم ويحقنهم بها كثير من أمثال صاحبنا الفصامي تطغى على الفهم الجيد والحكمة والنظر السديد أضف إلى هذا تأثر هؤلاء الشباب وأمثالهم بأخبار عمليات المجاهدين المتقنة هنا وهناك وسعيهم لمحاكاتها دون أن يكون عندهم إمكانات أولئك المجاهدين وخبراتهم وإتقانهم هذا كله مع قصر نظر هؤلاء الشباب وسذاجة نظرتهم للجهاد وثمراته ، وسطحية تعاملهم معه ومع الدعوة ، وعدم استيعاب وجوب مواكبة الدعوة ومرافقتها للجهاد بل وتقديمها عليه في كثير من الأحوال والظروف ، خصوصاً عندما لا يتعدى القتال قتال النكاية المتفرقة والمبثوثة هنا وهناك أو أعمال الحسبة المحدودة المقطوعة ..

وللأسف فإن هذه النوعية المتحمسة من الشباب يقل فيهم من يحسن السماع للناصحين والموجهين من أهل الخبرة والتجربة والنظر ، وربما يظن بعضهم أن مخرج هذه النصائح انهزام أو اندحار أمام أعداء الله أو جبن عن تحمل تكاليف القتال أو خوف من تبعات الجهاد لا خوفاً عليه وحرصاً على نهجه وثمراته ، وأكثرهم لا يستوعب هذه التوجيهات والنصائح والدروس إلا بعد أن يخوض التجربة والخطأ بنفسه مع أن السعيد من وعظ بغيره واعتبر ..

ولذلك فعندما رأيت بعضهم وبسبب تخبّطهم الأمني وتهلهل عملهم يعترفون أمام أعداء الله على أنفسهم وعلى بعضهم البعض بسهولة ويسر ، ورأيت آبائهم يُدلون بشهاداتهم في المحاكم ممجّدين النظام مظهرين ولاءهم له ونحو ذلك من الأمور التي ما كانوا ليتعاطوها إلا أن يشاء الله لو أن أبناءهم ركزوا واجتهدوا معهم بدعوة التوحيد المباركة .. عندما رأيت ذلك تذكرت قول الشاعر :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى ** فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

على كل حال فهؤلاء قد صدر ذلك عن بعض آبائهم وأقاربهم ولم يصدر عنهم أنفسهم لفهمهم التوحيد وبراءتهم من الطواغيت ..

أما غيرهم ويا للأسف ممن كانوا يخططون لأعمال حسبة أو نكاية أو نفذوها ثم تورطوا وابتلوا دون رصيد من الفهم والدعوة والعقيدة والتوحيد فقد صدر عن كثير منهم ما يندى له الجبين ويشوّه الجهاد والدين ، فلا أدري أي جهاد أو قتال هذا الذي لم يترَبّ أبناؤه على العقيدة الراسخة والتوحيد ؟

وأيُّ فصام نكد هذا ، أدى والله إلى مخازٍ وفضائح أمام أعداء الله وفي تحقيقاتهم ومحاكمهم ..

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن غيّه وخطاب من لا يفهمُ

وودت لو أن صاحبي الخصامي الفصامي ومن على شاكلته م-من يقلّلون من شأن دعوة التوحيد ، كانوا حاضرين مستمعين لشيء من ذلك ؛ ليتعرّفوا بأنفسهم إلى بعض آثار هذا الفصام أو الإهمال النكد للدعوة ، وليحمدوا الله على نعمة الهداية والتوفيق إلى التوحيد ببركات هذه الدعوة ، فيحفظوا لها عهدها ولا يبخسوها حقها ..

والخلاصة أن إقامة دين الله والتمكين لأهله في زماننا كما أنه لن يتأتى من الدعوات المنحرفة المتخبطة ، ولا من صناديق الاقتراع ومجالس التشريع الشركية ، وكذلك لن يتأتى من تحت رايات ممسوخة أو جاهلية ..

فكذلك لن يتأتى من أعمال قتالية أو عمليات تفجيرية أو عسكريه محدودة مبتورة يقوم بها المجاهدون هنا وهناك لا تخرج عن مجرد النكاية في أعداء الله ويتأكد ذلك إذا كانت مفاصمة مخاصمة للدعوة ..

بل يحتاج هذا الأمر إلى جهاد جاد متواصل ومتكامل ، لا يخاصم دعوة التوحيد أو ينفصم عنها بل يسير معها وترافقه جنباً إلى جنب ، بحيث تكون خطابه الذي يمهد له الطريق ويتكلم ويبين عن الجهاد وغاياته وأهدافه ، وتبقى رأس ماله وزاده الذي يُخرّج له الرجال المخلصين الموحدين الذين هم وقود هذا الجهاد ، وتوفر له القادة الربانيين والعلماء العاملين الذين يوجهون هذا الجهاد ويرعون ثمراته ويحفظونها من الانحراف ويتعاهدونها إلى أن يقطفها المجاهدون بأيديهم المتوضئة النظيفة ..

جهاد لا يفاصم أو يخاصم أو يستخف بجهد الشاب المتفرغ لتدريس أبناء إخوانه المجاهدين أو الدعاة أو الشهداء أو السجناء الذي يعمل على تعليمهم وتحفيظهم كتاب الله وتربيتهم أو يتابع ويرعى أمور أسرهم المادية والاجتماعية أو يخلفهم في أهليهم..

ولا يخاصم أو يستخف بالداعية الذي يعمل بهدوء بين أهله وعشيرته ويجتهد في تبصيرهم بالواقع وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ..أو يتفرغ في قرية نائية يدعو إلى ذلك بهدوء بين أهلها ويربي شبابها على التوحيد ويوعيهم ويهيئهم للجهاد في سبيله..

ولا يخاصم طالب العلم الذي يبذل وقته يسهر ليله في الرد على الطاعنين في التوحيد المروجين أو المرقعين للشرك والتنديد ، كتابةً أو خطابةً أو دعوةً ويوجه إخوانه ويعدهم علمياً

وفكرياً ويوعيهم ليكونوا مجاهدين صالحين ناضجين يصلحون لقيادة الأمة وتسيير دفة الجهاد إلى ما يحبه الله ويرضاه..

ولا يخاصم من يتفرغ لنشر ذلك وبثه طباعةً ونشراً وتوزيعاً في الكتب والأشرطة أو عبر الإنترنت أو غيره ..

جهاد يحترم القائمون عليه أرواح إخوانهم وأعمارهم فلا يفرطون بها في أعمال مرجوحة أو غير واعية ومدروسة ويحرصون على موارد المسلمين وأموالهم فلا يبددونها بأعمال مفضولة أو متخبطة وعندهم من الوعي والنضوج ما يجنبهم خصام أحد ممن تقدم ذكرهم أو الاستخفاف بأعمالهم ودعوتهم وجهودهم أو الاستنكاف عنها أو فصلها وفصمها عن الجهاد ، بل استيعابها كلها وجعلها تحت مظلته وضمن برنامجه وخطته وضروراته..

فإذا وجد مثل هذا الجهاد وكان على هذه الصورة الناضجة التي يرتجى ويؤمل منه التمكين ولو بعد حين ؛ رجّحناه دون شك على الدعوة المجردة عنه ، ولو كانت نظيفة موحّدة ، إن كانت مفصومة عن الجهاد مخاصمة له .. !!

لكن إذا لم تتيسر مثل هذه الصورة المشرقة وكان الموضوع في الكفة المقابلة لدعوة التوحيد الناشئة على سبيل المثال ، بعض أعمال النكاية المجردة المبتورة هنا وهناك ؛ فلا ينبغي ترجيح مثل هذا القتال أو تقديمه عليها بحيث تفرغ الساحات من الدعاة النشطين ويجعلون وقوداً لمثل هذا القتال بحجة فرضية الجهاد فتهمل الدعوة ويحبط جهد الدعاة لأجل قتال لا يخرج عن هذه الصورة يمكن القيام بمثله في أي وقت وفي أي مكان ..

أو تحبط دعوتهم وتقوّض برامجهم التي تعقد عليها الآمال ويزج بالدعاة في السجون لأجل بعض أعمال الحسبة التي لن تؤتي ثمارها الحقيقية إلا في ظل التمكين وسلطان المسلمين ..

ولذلك يجب على الداعية العاقل الناضج أن يكون فطناً حازماً فلا يسمح لهؤلاء الفصاميين أو غيرهم أن يحرفوه عن برنامجه المتئد أو يعطلوا له دعوته بالتورط معهم في بعض هذه الأعمال

المرجوحة ، أو يخرجوه عن نهج دعوته وخطها المحكم النظيف الطموح ما دام مقتنعاً برجاحة هذا الخط وثمراته ، عارفاً بسطحية هؤلاء الفصاميين متبصراً بآثار فصامهم النكد ..

ختاماً .. لم أكن مضطراً لكتابة هذا ، خصوصاً وأنا أخشى أن يساء فهمه ، وهناك ما هو أولى منه ، لولا هذا الفصام والخصام النكد الذي ابتدعه بعض الشباب فقلبوا به لدعوة التوحيد ظهر المجن ، مما دفعني للتصدي لهذا الفصام واستئصاله .. وإلا فكل من يقرأ ما أكتبه يعرف وقوفي بفضل الله دوماً في عدوة المجاهدين في كل مكان ، ودفاعي عن جهادهم المبارك بكافة صوره المشروعة ، وحرصي على توجيه هذا الجهاد إلى أحسن وأكمل الثمرات ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وتنقيته من الشوائب والأخطاء والانحرافات ، وهذا الذي كتبته هنا لا يخرج إن شاء الله عن هذه الغايات .. وقد قال الله تعالى :(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).. فتأمل كيف سمّى الله التفقه للدعوة والإنذار نفيراً في السورة ذاتها التي دعا فيها إلى النفير العام (انفروا خفافاً وثقالاً) ..

وبيّن سبحانه في هذه الآية أن الواجب على المؤمنين أن يكمل بعضهم بعضاً ؛فطائفة تنفر للقتال وطائفة تنفر للتفقه والدعوة والإنذار ،وكلا الطائفتين معاً تمثلان الجهاد بصورته المتكاملة ولا يعيب هؤلاء على هؤلاء أو يخاصموهم أو يفاصموا جهودهم ...حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية نسخت عموم قوله تعالى (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً) . وقوله تعالى : (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله...الآية)

ومعلوم أن بعض السلف ومنهم ابن عباس كانوا يطلقون النسخ ويريدون به التخصيص،فلا حاجة للقول بالنسخ بصورته الأصولية بمعنى إلغاء الحكم ،بل جميع الآيات محكمة يكمل بعضها بعضاً ، فالأمر بالنفير العام وعدم التخلف عن نصرة الدين إذا أخذ بصورته المتكاملة يجمع بين الآيات ويُعملها كلها ، وإعمال

النصوص جميعها أولى من تعطيل بعضها ، وهذا ما أوضحته الآية ونبهت عليه حين بينت أن النفير العام المطلوب من المؤمنين أعم وأشمل من مجرد القتال ، ولذلك سمى الله فيها التفقه في الدين للدعوة والإنذار نفيراً تماماً كما سمى القتال نفيراً...فالمطلوب من المؤمنين الجمع بين النفيرين..

فلا يصح أبداً أن نوقع الخصومة والفصام بين الدعوة والجهاد بل هذه تكمل هذا ، والأصل أن أهل الدعوة على ثغر من ثغور الدين وأهل الجهاد على ثغر ، وكل يجب عليه حفظ ثغره أن يؤتى الدين منه ، وكل يكمل الآخر ولا غنى لأحدهما عن الآخر ،

وإلى هذا أرشدنا ربنا في كتابه فقال : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)

وفي الأثر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خرج على بعض أصحابه حاملا السيف في يد والمصحف في يده الأخرى وقال : (أمرنا أن نضرب بهذا من خرج عن هذا) .

فهذا يكمل هذا ، ولا ينفصل عنه ، ولم يكن سلفنا لسعة علمهم وعمق فهمهم يوقعون الخصومة بين السيف والكتاب ..

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((قوام الدين بكتاب يهدي وبسيف ينصر ، وكفى بربك هادياً ونصيراً)) .

الوقفة السادسة عشر

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}

بين الجائز والأصلح .. وبين المشروع والأنفع ..

سألني صاحب من أصحاب سجني عن رأيي في إعلان تبني بعض المجاهدين ذبح أسير مدني أمريكي وإشهار ذلك أمام الكاميرات ونشره عبر شبكة الإنترنت ليشاهده العالم كله فيصير حديث الساعة للقاصي والداني حتى كاد يغطي على حديثهم عن فضائح الأمريكان أدعياء حقوق الإنسان في سجن أبو غريب !!

فقلت : لا أؤيد ذلك ولا يعجبني ، مع معرفتي بحرقة من فعله على دين الله وحرصه على إعزازه وتألمه لما آلت إليه أوضاع أمته وتغيظه من تكالب الأعداء عليها وذلك كله مما دفعه إلى الاستعجال بإعلان ذلك وإشهاره ، ومع ذلك كله أؤكد أن ذلك لم يعجبني وتمنيت لو أنه لم يعلنه ولا تبناه .. والأولى بمن ينتمي إلى مدرسة الجهاد الإسلامي العظيم أن لا يعلن أو يتبنى من الأعمال إلا ما لا ينتطح عليه عنزان مما يرفع راية الجهاد نقية وينأى به عن كل ما يكدره أو يمكّن الأعداء من استغلاله في خلط الأوراق وتشويه المجاهدين أو توظيفه لمآرب الأعداء ..

قال صاحبي : عجبا لك ، ولماذا لا يعجبك أليس ذلك بجائز ؟

فقلت : يا أُخيّه ، عندما أقول أن ذلك لم يعجبني فليس هذا لمجرد المخالفة والمماحكة ، فليس أحب عندي من الموافقة والموالفة على الخير .. وإنما هو حرصي على استبعاد ما يضر الجهاد وسمعته في زمن لم تعد الحرب فيه موقوفة على القتال وحده ، بل الإعلام له نصيب كبير في المساهمة في هذه الحرب ، واختيار مني لما هو أنقى وأنفع للدعوة والجهاد والمسلمين في هذه الظروف ..

ولقد كررت مراراً وتكراراً في كتاباتي وخطاباتي ودروسي لك ولغيرك أن الدعاة والمجاهدين لن يفلحوا الفلاح الذي يرجون ولن ينفعوا أمتهم وجهادهم كما يتمنون حتى يرتقوا من مستوى النظر في الجائز وغير الجائز وحسب ؛ إلى مستوى الموازنة بين النافع من ذلك الجائز وغير النافع منه في هذا التوقيت ، والراجح منه والمرجوح والفاضل والمفضول ، والمصالح المختلفة في العمل المختار ، والمفاسد المتفاوتة في تلك الأمور المفروغ من جوازها ..

يقول تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي:أصلح.وقال تعالى :(اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) فالله أمرنا أن نتبع أصلح الأعمال وأحسنها وأحراها نفعاً لديننا ، قال سبحانه : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه).

فإننا كمسلمين المفروض أن موضوع الجائز والمشروع والحلال منتهي مفروغ منه عندنا ؛ أعني أن ذلك معلوم ومن المسلمات فلا يجوز أن نختار من العمل والجهاد إلا ما كان كذلك فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته ، ودين الله ورايته لا تنصر ولا ترفع بالحرام فضلا عن الكفر أو الإشراك ، وهذا يجب أن يكون من البديهيات عند العاملين لهذا الدين ومن ألف باء أنصاره ومجاهديه .. ومن ثم فالمسائل لا ينبغي أن تعالج وتطرح على بساط البحث من هذا المنظور وحسب ، بل كما قلنا مرارا وتكراراً يجب أن يراعى في معالجتها واختيارها الأنفع للجهاد والأصلح للمسلمين والأنكى لأعدائهم ..

أقول .. لماذا عندما تتعلق المسألة بمطعمنا ومشربنا أو ملبسنا ومنكحنا لا نقنع في البحث والنظر فقط في الجائز والمباح والمشروع ؛ بل نصطفي من ذلك لأنفسنا أطايب الطعام والشراب واللباس وحسان النساء ..

أما عندما تتعلق المسألة أو الاختيار بالدين والدعوة والجهاد نقبل له ونقنع بأي شيء ، وجميل بل رائع وكثير – وربما يمن بعضنا – إذا كان ذلك في نطاق المباح أو المشروع أو الجائز وسلم من الحرام !!

أليس مباحاً وجائزاً ومشروعاً مثلاً أن تتزوج امرأة شلاء عوراء برصاء ، لا شك أن ذلك جائز ومشروع ولك فيه أجر ، فلماذا إذن تحرص وتفتش وتجتهد على أن تختار المعافاة بل والجميلة .. ؟؟

وتحضرني هنا لطيفة لعلي ألطف بها جفاف الموضوع فقد حدثني أحد إخواننا الذين كانوا في البوسنة أن مجموعة من الشباب العرب طلبوا من بعض المجاهدين هناك أن يسعى في تزويجهم ببعض الأخوات البوسنيات اليتيمات بدعوى الستر عليهن وكفالتهن وذكروا ما تعرضت له البوسنة من مذابح واغتصاب واستباحة للأعراض وأظهروا شفقتهم وحرصهم وألحوا عليه في ذلك ، فواعدهم الأخ أن يرد عليهم بعد أيام ثم أعادوا الإلحاح عليه في الأمر ، فقال لهم : لقد فكرت في طلبكم وأقدّر لكم حرصكم ونخوتكم ، وأنا أعرف أخوات كثيرات فقيرات ويتيمات في كثير من دول أفريقيا كأثيوبيا والصومال ونحوها وسأسعى لكم إن شئتم للزواج منهن وكفالتهن !! فما كان من أولئك الشباب إلا أن واعدوه كما فعل هو أولاً ليردوا عليه بعد أيام ؛ إلا أنهم ذهبوا ولم يرجعوا !!

أقول : لماذا خرجوا ولم يرجعوا ؟ أليس ذلك الذي عرض عليهم جائز ومشروع بل وفيه أجر ؟!

أم أن المسألة هنا لا يكتفى ببحثها في نطاق الجائز والمشروع ، بل تدقق وتحقق في مجال الأفضل والأكمل والأحلى والأجمل !!

يا إخواننا أيصح أو يعقل أن لا نرضى لمطعمنا وملبسنا ومنكحنا إلا بمعالي الأمور وصفوتها ، ونقنع لديننا وجهادنا ودعوتنا بسفاسفها .. ؟

حفظ الله أم نضال الفلسطينية تلك المرأة التي بعثت ابنها محمود إلى مستعمرة يهودية في فلسطين فاقتحمها برشاشه وقنابله بعد أن كمن سبع ساعات ينتظر صيده فقاتل وقتّل حتى قتل ، وحين سئلت أمه عنه بعد مقتله ، قالت فيما قالته أنها كانت

تعده لمثل هذا اليوم ، وكانت تمنعه من المشاركة في رجم اليهود بالحجارة كي لا يصاب بطلقة تعيقه عن القيام بما تدخره له من عمل عظيم تتمناه له ، وتقول له : أنا أريدك لشيء أكبر من رجم الحجارة ، وتقول : عندي ستة أولاد مستعدة كي أقدمهم في سبيل الله لكن بعمل مشرف مثل الذي قام به محمود ..

متى ينضج الشباب المجاهد فيعمل فكره على هذا النحو وأعظم منه ؟ إن ثلاثة أرباع جهودنا وأموالنا وتضحيات إخواننا مبعثرة اليوم بسبب قصر نظرهم أو قصر نظر رؤوسهم وقادتهم في أعمال مرجوحة مفضولة بدعوى أنها أعمال مشروعة !!

فمتى يتوجه جهدنا ويتركز جهادنا على مراعات الأصلح والأنفع للأمة ؟ وعلى اختيار الأسدى والأجدى لها والأنكى في أعدائها ؟

ولا يتوقف عند حدود الجائز والمشروع وكفى ، بل يغوص في أعماق الجائز والمشروع فيختار وينتقي منه الأشرف والأعظم والأنقى مما يرفع راية الجهاد مشرقة ناصعة ..

قلت لمحدثي – وهو ممن حكم بالسجن المؤبد لتفجير بعض دور السينما والخمارات ثم نضج وارتقى تفكيره عن ذلك المستوى مع طول فترة السجن وطلب العلم فيه – قلت : إذا لم يعجبك كلامي هذا ولم تقنع به فإن خرجت من السجن فارجع إذن إلى تفجير دور السينما والخمارات مرة أخرى ، في وقت يتطلع فيه المسلمون اليوم إلى عظائم الأمور ويتصدون فيه لأعتى قوى الأرض جاهدين أن تكون لهم دولة وكلمة في إدارة هذا العالم ودحر الكفر فيه ؛ وهم بحاجة لتحقيق مثل هذه الغاية لكل جهد ولكل قطرة دم ولكل مخلص ومجاهد ؛ دع أنت عنك المشاركة في هذه المعالي وارجع وافتح الحرب على فساق المسلمين وعوامهم وفجّر دور السينما التي يرتادونها ..

أليس هذا جائزاً ومشروعاً وإنكاراً للمنكر .. ؟ ! ..

قال : لا أفعل هذا ولا أبدأ به فقد فهمت وتعلمت وأصبو لما هو أعظم ..

قلت : إذا لم يستوعب عقلك ما قلته لك ففهمك وعلمك لا زال بحاجة إلى نضوج ، وما فهمت بعد ولا علمت الفهم والعلم الذي يتناسب مع الواقع وتحديات العصر وحاجات ديننا وأمتنا ..

فإذا تأملت الضجة التي حصلت على إثر إعلان نشر صور ذبح ذلك الأمريكي الذي يسمى في عرف زماننا مدنيا ، مع قطع رأسه عيانا على شاشات التلفزة بعد ذبحه والذي يعده بعض أهل العلم من التمثيل ..

وتابعت استغلال أعداء الله وعلماء السوء لهذه الحادثة وتوظيف الأمريكان والطواغيت لها لتشويه الجهاد وأهله والتشنيع عليهم وتنفير عوام المسلمين عموما والعراقيين خصوصاً عن المجاهدين ، وغير ذلك من المفاسد دون فائدة أو عائدة عظيمة لإعلان ذلك وإشهاره وتبنيه ؛ علمت أن من فعل ذلك لم يكن موفقاً في اختياره هذا ، وأنه كي يفوت على أعداء الله هذا كله فيجب عليه أن يرتقي بتفكيره إلى معرفة حقيقة المعركة مع أعداء الله اليوم وحقيقة أسلحتها وأدواتها ؛ وأنها لا تتوقف على ذلك السكين الذي ذبح به ذلك الأمريكي وأن النضوج وسعة الأفق في فهم الجهاد وأدواته ليس في كبر ذلك السكين وعظمه وإنما في شمولية الجهاد وأدواته للإعلام وغيره وتوسع مدارك أهله له ، ونضوج اختياراتهم ؛ فتارة يتركون أشياء وأعمال لأمور أهم ، وتارة يقدمون شيئاً على شيء لتوقيت معين ، وتارة يفعلون ويختارون دون أن يتبنوا ويعلنوا وتارة يعلنون ويشهرون ما فيه مصلحة خالصة وعملا نقياً لا ينتطح عليه عنزان ولا يماري فيه إنسان ، فإن هم فعلوا ذلك وظفوا إعلام الأعداء إضافة إلى إعلام المجاهدين ووجّهوه كما يريدون هم ، لا كما يريد أعداؤهم إذ لم يتركوا مجالاً لهم في استغلال عثرة أو توظيفها لأهدافهم ومآربهم الخبيثة ، ومثل هذا الأمر لا يكفي لتحقيقه والنجاح فيه علم الشرع وحده وإن كان ضرورياً بل لا بد معه من متابعة ذكية وحثيثة للواقع ومجرياته والأعداء ومكايدهم وتأمل في ظروف الأمة وأحوج حاجاتها وأعظم مصائبها ..

وإذا قلت لي يا شيخ ؛ لقد أبعدت النجعة وضيقت واسعاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بعض الناس صبراً (أي

في الأسر) وقتل غالبية رجال بني قريظة وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ..

قلت : أجل ، ولا أشك أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ولو تدبرته وفهمته وحلّلته وتأملته أفلحت كل الفلاح ..

ولذلك نص العلماء المحققون المتبصرون بذلك الهدي العظيم على تخيير الإمام في الأسارى بين المن أو الفداء أو تبديل أسارى المسلمين بهم أو القتل أو غير ذلك من الاختيارات بحسب دين الأسير وشدة عداوته وخطره ..

والاختيار في ذلك كله يرجع كما نصوا إلى (ما هو أحظى وأنفع وأصلح للإسلام والمسلمين) .. تأمل ؛ عدنا إذن إلى الأحظى والأنفع والأصلح ؛ وهذا الذي ندندن حوله ونحث عليه ونوجه المجاهدين دوما إليه في كل أبواب الجهاد اليوم ..

ولو تأملت واستقرأت معي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسارى لرأيت أنه لم يكن يجري فيهم على سياسة واحدة ، بل كان يمن تارة كما فعل مع ثمامة بن إثال وتارة يقبل بالفداء والعوض وتارة يقتل بعضهم قوداً وقصاصاً أو غيره كما فعل مع العرنيين الذين ارتدوا وقتلوا الرعاة وسملوا عيونهم فاقتص منهم مثلا بمثل .. وقتل بعض الكفار وهو متعلق بأستار الكعبة مشهراً قتله على رؤوس الناس تأديباً لكل طاعنٍ في الدين محاربٍ أو هاجٍ للإسلام والمسلمين ..

وهو في كل ذلك لم يقتل صبراً وبهذه الطريقة المعلنة إلا أشد الناس عداوة له ولدينه ..

فعبد العزى أو عبد الله بن خطل الذي قتله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق باستار الكعبة كان من بين بضعة نفر أهدر صلى الله عليه وسلم دمهم يوم فتح مكة من بين سائر الناس الذين كفروا بدينه وحاربوه ، وذلك لشدة عداوة هؤلاء النفر وحرابتهم وهجائهم للإسلام والمسلمين ..

فعبد الله بن خطل كان قد أسلم فبعثه رسول الله وبعث معه رجلا من الأنصار فقتل الأنصاري وارتد مشركاً وصار يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له قينتان تغنيان بهجائه على مسامع المشركين فقتله النبي صبراً وقتل إحدى قينتيه كذلك ..

ومنهم مُقيس بن صبابة وكان قد ارتد بعد إسلامه وقتل ولحق بالمشركين يطعن في رسول الله ويحاربه أشد الحرابة ..

فتأمل تميّز جرائم من قتلهم صبراً عن سائر أهل مكة الذين أمنهم جميعاً .. فهؤلاء قد جمعوا بين الردة والقتل وخصوصية الحرابة والعداوة والطعن ولذلك استدل شيخ الإسلام بقتلهم صبراً من بين سائر مشركي مكة على وجوب قتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم ..

ومع ذلك فمن فرّ من هؤلاء وأسلم واستؤمن له عفى عنه كهبّار بن الأسود الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس ببعيرها حتى سقطت على صخرة وكانت حامل فأسقطت جنينها .. وكعكرمة بن أبي جهل وكقينة ابن خطل الأخرى وغيرهم ..

ومن أسارى بدر لم يقتل صبراً من المقاتلين الأسارى إلا النضر بن الحارث الذي كان يسبه ويؤذيه بالقول والفعل أذىً شديداً ومثله عقبة بن أبي معيط والذي كان إضافة إلى مبالغته في أذى وتعذيب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الطعن في القرآن والنبي وآذاه وخنقه بردائه خنقاً شديداً ليقتله ووضع على ظهره سلى الجزور وهو ساجد ..

فلم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى صبراً غيرهما ..

أما بنو قريظة فقد كانوا كما يقول ابن القيم في الزاد : أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظهم كفراً ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم من يهود بني قينقاع والنضير .

فقتل مقاتلتهم كما في البخاري وذلك بعد أن نقضوا عهده وأعانوا كفار قريش وظاهروهم عليه وألبوهم وألبوا غطفان وغيرهم على حربه وكانوا سببا في وقعة الخندق فلا عجب أن يعاملهم صلى الله عليه وسلم بذلك من بين سائر اليهود ومع ذلك فمن عظيم فقهه صلى الله عليه وسلم ومراعاة منه لحدثاء الإسلام من أصحابه من الأنصار ودفعا لأي مفسدة متوقعة ؛ لم يبادر هو إلى الحكم بقتلهم بل رد حكمهم إلى حلفائهم ومواليهم من الأوس ، فاختار بنو قريظة بأنفسهم وقبلوا أن ينزلوا على أي حكم يحكمهم به حليفهم سعد بن معاذ فحكم رضي الله عنه بقتل مقاتلتهم ..

وهكذا وبالاستقراء لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قتل صبراً من أهل الحرب غير مقاتل أو مدني كما يسمونه اليوم بل لم يقتل حتى من المقاتلين صبراً إلا من تميّز منهم بغلظة كفره وشدة عداوته وحربه وسبه وهجائه له وللمسلمين ، ولا شك أن في ذلك حكمة منه بالغة ووسطية في الاختيار وعدم اكتفاء منه بالنظر في شرعية ذلك وجوازه وحسب ، بل اعتباره لمصلحة الإسلام والمسلمين واختياره للأنكى في أعداء الله المحاربين ، فيؤدب بذلك ويشرد به من خلفه من كل عدو محارب خبيث ، ويميّز غيرهم ممن هم ليسوا بشديدي المحاربة له ولدينه ويدفعهم بذلك إلى التزام خطهم وعدم التعدي بالحرابة والعداوة .. إلى غير ذلك من المصالح التي تحققها هذه الوسطية والحكمة في الاختيار ..

وسطية تختار أنكى وأشد أنواع القتل لأخبث الأعداء وأشدهم ضراوة ولا تساوي بهم في ذلك سائر الكفار فضلا عن غير المقاتلين ومن ذلك تجنبه في غالب أمره للمثلة ونهيه عنها وكفّه عن التمثيل بالمشركين الذي كان قد عزم عليه بعد أن رأى تمثيله بعمه حمزة رضي الله عنه .. مع أن العقوبة والجزاء والقصاص بالمثل جائز ومشروع لكنه صلى الله عليه وسلم علّم أمته الأخذ بالأعلى والأصلح والأنقى والأكمل من العمل والجهاد كما وجهه ربه بقوله : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم أرشد للأفضل والأكمل فقال : (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)

وقال سبحانه : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم قال : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال عز وجل : (والجروح قصاص) ثم قال : (فمن تصدق به فهو كفارة له)

أقول : هذا الطموح الذي أحب دوماً لفت أنظار إخواني المجاهدين والدعاة إليه وأسعى جاهداً لتوجيه هممهم وآمالهم إليه ، وحث خطاهما نحوه ، وتركيز جهودهم عليه ، والارتقاء بتفكيرهم إلى مستوى الجهاد الإسلامي العظيم ونقاوته ، واعتبار أعظم حاجات أمتهم ودينهم ، لتصبح اختياراتهم لا محكومة فقط بفلك الجائز والمشروع تدور وتتردد فيه وحسب ، بل كما أسلفت تغوص في أعماق الجائز والمشروع لتستخرج من الدرر ما هو أنفع للأمة والجهاد وأصلح وأجدى وأسدى .. ، وتربي قادة ودعاة ومجاهدين لا ينظرون إلى الجائز والمشروع والمباح نظرة سطحية ؛ بل يجيلون النظر فيه ويمحصونه ويدققونه ليرجّحوا منه الأنفع لهذا الوقت أو ذاك ، والأصلح من الأعمال والأجدى من الاختيارات والأنكى بل والأقطع للأعداء ..

بل إني أذهب إلى أبعد من هذا فأقول أن الواجب عليهم أن يتعاملوا كذلك ، مع الواجبات والفرائض أيضا خصوصاً عند تزاحمها وتعدّدها على أهل الإسلام اليوم ..

فيقدمون الواجب المضيّق أو الراجح والاهم على الواجب الموسع أو المرجوح ..

ففي الجهاد الذي ندندن حوله في حديثنا هذا لا ينبغي أن يحرّض الشباب بدعوى فرضية الجهاد على أي ساحة وعلى أي عمل وتحت أي قيادة .. بل الواجب عليهم مع تزاحم ميادين الجهاد وتعدد ساحاته وكثرة مآسي المسلمين والحروب المستعرة عليهم والأعداء المحاربين لهم والمستبيحين لحرماتهم ، أقول يجب عليهم في خضم هذا الواقع أن يختاروا الأولى والأهم والأرجح من الميادين التي يعوّل عليها نصر الإسلام والمسلمين والتمكين لهم ولدينهم ، ويصطفوا أنقى الرايات وأنضج القيادات ، ولا يكون انتقاؤهم مبنياً على الحماس الأجوف أو مدفوعاً ومتأثراً بتطبيل مشايخ وعلماء الحكومات أو تزمير إعلامهم وصحافتهم

وفضائياتهم ، بل محكوم كما قدمنا وكررنا بالأحظى والأنفع للإسلام والمسلمين والأنقى لجهادهم والأنكى والأقطع لأعدائهم ..

وأن يقدموا ما كان من جنس جهاد الدفع على ما كان من جنس قتال الطلب ، لأن جهاد الطلب فرض كفاية ، أما جهاد الدفع ففرض عين ، ولذلك اشترط العلماء في جهاد الطلب إذن الوالدين وإذن الدائن ، بخلاف جهاد الدفع الذي لم يشترطوا فيه شيء من ذلك ..

وليعلموا أن من جنس جهاد الدفع القتال الذي يختار تحرير بعض بلاد المسلمين من طغاة الكفر الداخليين أو الخارجيين والتمكين لأهل الإسلام ودينهم هدفاً لبرنامجه وغاية وأولوية في حساباته ، ولذلك يقدم مثل هذا القتال على أي قتال آخر يكون طابعه النكاية المجردة أو أعمال الحسبة المبتورة والمنقطعة ..

بل يقدم على هذا النوع الأخير ويقارب قتال الدفع السعي في فكاك أسارى المسلمين والقتال من أجل تخليص المستضعفين كما قال تعالى : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً : (فكوا العاني ..) أي : الأسير .

ولذا قال النووي : (إذا أسر الأعداء مسلماً أو مسلمين فالراجح أن المسألة كدخول العدو ديار الإسلام (يعني كقتال الدفع) لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار ، فيجب العمل على استخلاص الأسير أو الأسيرين) أهـ .

والعلم بهذا التفاضل والفقه به ، والبصر بالواقع ومدى تفاوت الأعداء في خبثهم ودرجة عداوتهم وحرابتهم للإسلام والمسلمين يعين المجاهد على الترجيح بين الواجبات والفرائض المتعددة والمتزاحمة ، فيقدم الواجب العيني منها على الكفائي والمضيّق

الذي لا يحل السكوت عليه أو تأخيره كأن يكون في تأخيره هتك للأعراض أو استباحة للدماء المعصومة أو نحو ذلك فيقدم ذلك على ما هو أوسع منه من

ولا يكتفى في الاختيار مع هذا التزاحم والتعدد بمجرد دعوى الوجوب أو الفرضية .. أسأل الله العظيم أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً وأن يسددهم لما يحب ويرضى .. هو ولي ذلك والقادر عليه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

قال لي بعض الإخوان ممن قرأوا بعض هذه الوقفات فحصروها على أشياء محدودة في أذهانهم : رفقاً ارحم قلمك أيها الشيخ ..

فأقول : إنما أرحمه وأسعده بالدفع عن جهاد المسلمين وتنقيته من كل ما قد يشوبه أو يشوهه أو يحرفه ويحيد به عن الجادة ..

فهذا الجهاد ليس ملكاً لأحد من الناس يستأثر بتوجيهه كيف شاء ؛ بل جميع المسلمين فيه شركاء ويجب أن يحرصوا على تميزه ونقاوته ويعملوا على تسديده ويجتهدوا في ذلك بالمشاركة فيه وبالنصح والتوجيه والدعاء ، وعلى من يحسبون كرؤوس ومرجعيات له كفل عظيم من ذلك ..

ولا يجوز لهم بحال أن يداروا أو يداهنوا أو يقروا الانحراف أو التشويه فيه أو الخطأ ؛ ولو صدر من أقرب الناس إليهم .. وأن يقدّموا مصلحة الدين والجهاد والمسلمين على الأسماء والأشخاص ..

فأقول له ولغيره تدبّر ما كتبته لك ولغيرك في هذه الأوراق فإنها أوراق ذات شجون بذلت فيها خلاصة نصحي للدعاة وللجهاد والمجاهدين ، ولا تحصر تفكيرك وتحجّره وتصغره في التنبيش والبحث وقول أن الشيخ يقصد فلاناً أو علاناً أو نحو ذلك ، فتحرم نفسك من خير عظيم فيها ، فالأمر أكبر مما تظن ولم أعود نفسي أن أشغَلها بأشخاص معينين فضلاً عن أن أشتغل في دعاة

أو مجاهدين نحسبهم إن شاء الله من أهل الصدق والإخلاص ولا نزكي على الله أحداً ..

بل إني في كتاباتي هذه التي تقطر هماً وأسىً على جهادهم أرحمهم وأنصرهم أشد من نصرة السلاح والمال لو كانوا يفقهون ، وذلك بالحرص على تسديد هذا الجهاد وتوجيهه إلى الأنفع والأحظى لدين الله ، وتحذيره من الانحرافات وتجنيبه للعثرات والمشوّه من الثمرات ..

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

الوقفة السابعة عشر

الكلاب تنبح والقافلة تسير

قال الله تعالى ذاكراً بعض بركات الجهاد : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) فذكر سبحانه أن الهداية للحق والتوفيق والتسديد إليه والبصيرة فيه وفي سبله ؛ ينالها المجاهدون ويبارك الله لهم فيها بجهادهم الصادق في سبيل الله ..

فالمجاهدون الصادقون من أفقه الناس وأفرسهم بصيرة .. ولذلك كان من قبلنا لِيقينهم بثمرات الجهاد وبركاته هذه إذا ما أعيتهم مسألة من مسائل الفقه أو العلم قالوا : (اسألوا أهل الثغور) ..

وذلك أن المجاهد يتعين عليه أن يدرس واقعه الذي يعيش فيه فيحيط به علماً كما قد أحاط بفقه الجهاد الشرعي ، فإذا ما فعل ذلك وصدق في جهاده ؛ أطلق الله بصيرته ببركات جهاده في الله وكان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، فيصير فهمه وفقهه وإصابته للحق أعظم أضعاف أضعاف من سائر الناس ..

ومن ثم فلا حاجة للمجاهدين لفقهاء ومنظرين من خارج صفهم ، لأن فقهاءهم الذين يوجهونهم ويتخيرون لهم الأولى والأنقى والأنكى من الجهاد والقتال من أفقه الناس وأقواهم بصيرة وذلك لأن فقههم يولد من رحم الجهاد ومن ميادين القتال وخنادقه حيث الصدق مع الله والبعد عن الأهواء المضلة والشهوات المزلة ، فإذا أضيف إلى ذلك ما ذكرناه من العلم بالشرع والإحاطة بالواقع لم تكد فراسة أحدهم تخطئ ..

فالمجاهد ومشايخه الربانيين المجاهدين هم الذين يقدرون المصلحة في جهادهم والفائدة والثمرة في اختيار أهدافهم ، وهم ليسوا بحاجة إلى فقه القاعدين المهترئ ولا إلى تنظيرات الخوالف المنسحقة تحت أقدام الأنظمة وأسيادها الغربيين

والأمريكان .. أو المندحرة أمام ثقافة العولمة وتهمة الإرهاب ، ولا إلى أفهام المخلدين إلى الأرض من الصحفيين المارقين أو الكتاب العلمانيين والمفكرين المهترئين ، الذين يطلّون علينا عبر شاشات الفضائيات ومن بين سطور مقالاتهم المنهزمة في صحفهم العلمانية المتهالكة على تقديم الطاعة والولاء لولاة أمورهم وخمورهم ، فيخرجوا منها علينا بعد كل عمل بطولي للمجاهدين ليحللوا وينظروا من منطلقاتهم الإنبطاحية ، ويلوموا المجاهدين أو يجهّلوهم ويطعنوا فيهم وفي جهادهم .. فتارة يدّعون أن المجاهدين جهلة وأن أعمالهم ستسوّغ لأمريكا مزيدا من الحرب على الإسلام ، وتارة يرون أنها ستغطي على جرائم إسرائيل وتشتت الأنظار عنها .. وتارة يزعمون أن المجاهدين يُستدرجون إلى هذه الأعمال بسطحيتهم وغفلتهم وأن وراء الأكمة ما وراءها من الأيادي الخفية التي تسيرها الصهيونية العالمية ونحو ذلك من أفكار الإنضباع بنظرية المؤامرة .. فسحقاً سحقاً ..

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو * من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وفي مجمع الأمثال (أجُبْناً وغَيرة ؟!) بل (أجبناً وحسداً ؟!) قد قعدتم وأخلدتم إلى الأرض وبعتم الدين والعرض بل والشرف والمروءة ، وتبرّأتم من دينكم وجهاده واستحييتم من تبني حدوده وخجلتم من شرائعه .. ويتمنى كثير منكم لو أمكنه حكّ آيات الحدود وغسل نصوص الجهاد وإزالتها من قرآنه .. فبأي حق يجوز لكم بعد هذا أن تتكلموا عن الجهاد وتنظروا في ثمراته أو تزاودوا على شهدائه وأبطاله ؟. أوَيمكن أن تصير النائحة الكاذبة المستأجرة في حال من الأحوال أصدق وأخلص من النائحة الثكلى ؟!

اسمعوا أيها المنهزمون ؛ المجاهدون ليسوا بحاجة إلى تنظريكم المتهالك تحت أقدام حضارة الغرب الزائفة ولا لتحليلاتكم المندحرة والمنهزمة تحت بساطير الأنظمة العميلة وأسيادها في واشنطن ولندن وباريس وبرلين .. كيف ولا زال أكثركم يُرقّع لساداتهم في البيت الأبيض و(10 داوننج ستريت)

والإليزيه بأن حربهم على أمة الإسلام ليست صليبية وليست موجهة إلى الإسلام بل إلى الإرهاب الذي شوهه ؛ كذا يزعمون ، مع أن أسيادهم هناك يقولون بلسان حالهم بل وفي ظلال تصريحاتهم : إخسؤوا أيها الأقزام ، وما يدريكم أنتم ؟ بل هي حرب صليبية معلنة على الإسلام الذي هو دين الإرهاب وكم أعلنا ذلك وكررناه وأعلنه جنرالاتنا الذين يصفون المسلمين بأنهم يعبدون وثنا وشيطاناً ، وأعلنته هيئاتنا ومحاكمنا التي شنت حربها على الحجاب واعتبرته إرهاباً وتهديداً لعلمانيتنا .. ولكنكم أصممتم آذانكم وأغمضتم أعينكم واستغشيتم ثيابكم وأصررتم على تحريف الحقائق إصراراً ..

المجاهدون ليسوا بحاجة إلى أشباه رجال أو إلى مفكرين مدجنين مخنثي العزائم ، أو إلى علماء عملاء مأجورين منهزمين ؛ ليستفتوهم قبل كل عمل جهادي أو يستشيروهم ؛ هل هذا يناسب أفكاركم وعقلكم المعيشي ؟ وهل يصلح القيام به حسب تنظيركم أو لا يصلح ؟؟ لا ، فهم ليسوا بحاجة إلى ذلك ، وعندهم من الفقه والبصيرة ما يغنهم .. فموتوا بغيظكم أيها المندحرون ، وواصلوا نقدكم للمجاهدين وجهادهم أو كفوا ، فالأمر عندنا سيان .. ولن تفتوا بذلك أبداً من عضد المجاهدين ، ولن تؤثر أقلامكم المسمومة بجهادهم بإذن الله ، كما لم يُؤثر فيه حديد ونار أسيادكم وحربهم وحرابهم ..

أما أنتم أيها المجاهدون الصادقون .. فإن خير ردّ لكم يلجم هؤلاء الأرذال ويدحرهم أن تهملوهم ؛ أما ردكم الماحق لشقشقاتهم فيتمثل بالثبات على جهادكم ومواصلة الذبح والقتل والقتال لكل عدو لله على بصيرة من الله ، وعدم الإلتفات لتنظيرهم فالقافلة تسير ولا يضرها نبح الكلاب ، بل ربما أطربتها نغمات ذلك النباح إذا تذكرت واستحضرت دوماً وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الطائفة الظاهرة القائمة بدين الله في كل زمان من أنهم (لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله) .

وهذا التشويش على الجهاد والمزاودة على المجاهدين ليس بخلق جديد من أخلاق أعداء هذا الدين بل هو قديم قد مارسته

قريش من قبل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مراراً ؛ وحاولوا استغلال بعض الحوادث والأهداف التي تخيرها المجاهدون في أوقات معينة ليشنّعوا بها عليهم ، كما حصل في قصة قتل ابن الحضرمي الذي قتلته سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وغنموا ماله وأسروا معه رجلين في أول رجب الشهر الحرام ظانين أنه الآخر من جمادى ، فشنعت قريش بذلك على المسلمين وعيّرتهم بأنهم قتلوا واستحلوا الدماء والأموال وأسروا الرجال في الشهر الحرام .. فأنزل الله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) ، فبيّن الله تعالى أن القتال في الشهر الحرام وكذا في البلد الحرام محرم وكبير ، وذلك أمر لا ينكره المسلمون ولا يستحلونه ، وليسوا بحاجة إلى أن يدلهم عليه أحد من المشركين الكفار ولا يضرهم تعييرهم به ، لأن ما ارتكبه ولا يزال يرتكبه المشركون من كفر بالله وصد عن سبيله وإخراج للمؤمنين من البلد الحرام وتعذيبهم لفتنتهم عن دينهم أكبر من مجرد القتال في الشهر الحرام أو البلد الحرام [2] ، فلم يتضرر المسلمون بذلك التشنيع والتعيير لأنهم فقهوا أن المشركين أولى بالتعيير وأحق به لما ارتكبوه من جرائم وطوام كبيرة ولا يزالون قائمين ومصرين عليها (والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) وفي ذلك توجيه للمجاهدين أن لا يتضرّروا بشغب أعداء جهادهم وتعييرهم لهم أو بتنظيرهم وتشنيعهم حول أهداف جهادهم وتوقيت عملياتهم .. وذلك لأن كفر أعداء الدين وصدّهم عن سبيل الله وفتنتهم للمؤمنين أعظم من كل جناية قد يُعيّر بها المجاهدون فهم إذا ما صدرت منهم عن اجتهاد خاطئ فليسوا بحاجة لفقه المشركين وتنظيرهم لأنهم ليسوا بأحرص من المؤمنين على الحلال والحرام .. وهذا كقول أبي فراس ..

وما من أعجب الأشياء علجٌ * يعرّفني الحلال من الحرام

---

[2] إن كان لآل سعود وأذنابهم عقول فليتدبروا ..

فحذار أيها المجاهدون أن تضعفوا أمام إرجافات أعداء الدين وحذار من أن يتضرر جهادكم بتشنيع أذنابهم ..

فإن قالوا لكم : قد قتل في قتالكم في موقع كذا وكذا أطفال وصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل الصبيان ..

قولوا لهم .. نعم قد نهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك ونحن أعلم بذلك وأحرص على أمره ونهيه منكم ، ونعوذ بالله من أن نتقصدهم ، ولو فعلنا ذلك تبنا إلى الله أما أنتم فقائمون مصرون على الكفر والحرام ، ولذا فلسنا بحاجة إلى فقهكم وتنظيركم .. وقد رفع الله عنا الحرج في تبييت الكفار إن حصل فيه شيء من ذلك ، وكيف يحق لكم أن تظهروا بمظهر الحريص على الأطفال ، وأنتم أول من يتم أطفال الموحدين وأعدم آباءهم واستحل قتلهم لجهادهم وتوحيدهم وبراءتهم من شرككم واستحل قتلهم بالكفار بدعوى الحرابة ؛ وأنتم أول من حارب دين الله وأولياءه أما هم فلم يحاربوا إلا أعداءه وإن قتل في جهادهم بعض الصبيان فأنتم قد وأدتم جمهور أبناء المسلمين وقتلتم الدين والحمية والتوحيد في قلوبهم بمناهج مدارسكم الفاسدة التي تنشؤهم على الولاء لكم ولأوليائكم ، ولا زلتم تسعون في فتنتهم عن دينهم وجهادهم (والفتنة أكبر من القتل) ومن أصدق من الله حديثا .. ؟ .

وإن قالوا لكم : قد وضعتم محراث الأمريكان بسبب جهادكم وما عملتموه في نيويورك وواشنطن ؛ على ظهور بلاد المسلمين فتسلطوا بدعاوى محاربة الإرهاب على بلادهم وخيراتهم ..

فقولوا لهم : ومتى لم يكن المحراث موضوعاً على ظهور هذه الدول حتى نكون نحن من تسبب في وضعه ، فقد جئنا إلى هذه الدنيا وهو موضوع بلا ثمن على ظهرها بخنوع طواغيتها وبلا مقابل ؛ فلم نعدُ أن جعلناه بثمن وبمقابل ..

وإن قالوا لكم : إن إسرائيل تستغل أعمالكم لتمارس وتضاعف إرهابها ضد الفلسطينيين وتهدم المنازل وتقتل الأطفال وتجرف الأراضي وتقطع الأشجار ..

فقولوا لهم : وهل تحتاج إسرائيل لمبررات لتفعل ذلك ومتى توقفت إسرائيل عن إرهابها أو أنقصته حتى تزعموا أنها ضاعفته بعد عمليات المجاهدين .. إن إسرائيل هي آلة تفريخ الإجرام برعاية أسيادكم في واشنطن وحراسة جيوشكم في بلادنا ، وقد قتلت من المسلمين في فلسطين وهدمت من بيوتهم قبل عملياتنا ما لو قورن ببرجي التجارة لبلغ أضعافاً مضاعفة لهما ، فعلى من تدلسون ؟

وإن قالوا لكم إنكم بضرباتكم لليهود و الأمريكان تضعفون الأنظمة العربية وتضعفون اقتصادها وتقوضون مشاريعها التنموية وتنفرون المستثمرين الأجانب وتطفشون السياح ..

فقولوا لهم : أنعم بذلك ، وهل نريد إلا هذا ؟ ولو علمنا أن ثقب الأوزون يضعف هذه الأنظمة الحقيرة ويعجل في سقوطها لاجتهدنا في توسيعه ، وهل يؤرقنا أو يشغلنا أيها المغفلون إلا تقويض أنظمة الحكم الكافرة العفنة في بلادنا وإضعافها لهدمها وإقتلاعها من جذورها .. ؟

أما التنمية والاقتصاد والاستثمار ونحوه فلا يصلح إلا بعد أن تحكم بلادنا بشرع الله .

فإن قالوا لكم : قد أحرجتم بعملياتكم في اسطنبول الإسلاميين الأتراك المعتدلين !! ودفعتموهم للإرتماء في أحضان الأوروبيين والأمريكان ..

فقولوا لهم : وهل نريد إلا فضح كل خبيث متاجر بالدين يمجد أتاتورك ولا يبرئ من علمانيته ويستحي من الدين الحق ويطعن في المجاهدين ويتحالف مع أعدائهم بدعوى مكافحة الأرهاب .. ثم متى لم تكن تركيا في كل عهودها المعاصرة غير متهالكة على إرضاء أوروبا لتقبل في اتحادها الصليبي ، ومتى لم تكن مرتمية في أحضان الأمريكان بل واليهود .. ؟!

فإن قالوا لكم : إن إرهابكم قد استغل للضغط على الأنظمة العربية كالسعودية لإدخال ما يسمى بالإصلاحات وهي ارتدادات صريحة وواسعة إلى العلمانية ولتحريف المناهج وتطويعها لبث ثقافة العولمة وروح المؤاخاة والمودة لإخوانهم الكفار الغربيين ..

فقولوا لهم .. أنعم بذلك ؛ وهل من أعظم غايات جهادنا إلا فضح هذه الأنظمة وكشف كذبها وتدليسها وتسترها بالإسلام .. وقد كانت ولا زالت تفتح أبوابها للعلمانيين وكفرهم سراً وخفاء ، ولا زالت تدس السم بالدسم في مناهج تعليمها وتطوع الدين فيها لخدمة الأنظمة وطواغيتها ومؤاخاة كفار الغرب والشرق فإن أعلنت بذلك وجاهرت به بسبب جهادنا وغيرت المناهج صراحة وحاربت أهل الدين علانية براءة من الدين الحق الذي يغذي الجهاد والإرهاب إرضاءا لأسيادهم الأمريكان فالحمد لله ، إذ أن أول مراحل دحر هذه الأنظمة فضحها ..

وإن قالوا لكم : قد أشعلتم بعملياتكم نار الكراهية بين الغرب والمسلمين ودفعتم إلى صراع الحضارات وسلطتموهم على المسلمين هناك فطردوا المحجبات من مدارسهم الحكومية العامة ..

فقولوا لهم : أنعم بذلك وأكرم وإنه لواجب من واجبات الإسلام وعراه الوثقى أن نقطع وشائج المودة بين المسلمين وأعدائهم ، وطرد المحجبات من مدارسهم الحكومية خير عظيم يطهرهن من رجس إختلاطهم وثقافتهم الفاسدة ومناهجهم النجسة .. ويوقظ المسلمين وينبههم إلى حقد هؤلاء الكفار على شعائر الإسلام فلا يحسنون بهم الظن ويدعوهم إلى التميز والعمل الجاد لإيجاد البدائل النظيفة من المدارس الإسلامية الطاهرة ، ومعلوم أن حربهم على حجاب المسلمات بل وعلى الإسلام وشرائعه أقدم مما تدعون يعرف ذلك كل عاقل متابع لحربهم على دين المسلمين .. وأما صراع الحضارات ونار الكراهية فهي مشتعلة قبل عملياتنا بل وقبل (هتنغتون و فوكوياما) وكتاباتهما حول صدام الحضارات فهي موجودة منذ أن وجد الكفر والإيمان ، وقد قال تعالى عن الكفار: (ولا

يزالون يقاتلونكم حتى يردكم عن دينكم إن استطاعوا) وما الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ومذابح المسلمين على أيدي اليهود والنصارى في كل بقاع الأرض بخافية إلا على من تعامى عنها ودفن رأسه في الرمال ..

ثم قولوا لهم إن تنظيركم وتشنيعكم هذا كله مهزوم منكوس يرده الواقع بل وشهادات أسيادكم الذين تنبهرون بهم من الكتاب والمحللين والمنظرين الغربيين ، فها هم يعلنون في إحصاءاتهم أن الإهتمام بالإسلام ودراسته والإقبال عليه من قبل الغربيين والأمريكان قد ازداد بشكل كبير وملحوظ بعد غزوات نيويورك وواشنطن ..

واختم هذا بشهادة واحد من أولئك الغربيين الذين ينبهر بهم وبثقافتهم هؤلاء المنظرين المنهزمين في بلادنا ؛ يشهد فيها بذكاء وفهم المجاهدين وأنهم يعلمون تماماً ما يفعلونه . فقد نشرت صحيفة الإندبندنت البريطانية مقالاً بتاريخ 21/11/2003م لخبير شؤون الشرق الأوسط (روبرت فيسك) جاء فيه : (إن الهجومين التفجيريين على أهداف بريطانية في إسطنبول هما ثمن الإنضمام إلى حرب الرئيس الأمركي بوش على الإرهاب ، إننا ينبغي أن لا نخدع أنفسنا بشأن القدرات العقلية لمنفذي الهجمات فمنفذو الهجمات قادرون على فهم العالم الخارجي ، لقد كانوا يعلمون تماماً ما هم فاعلون حين أقدموا على مهاجمة الأستراليين في بالي ، فقد عرفوا أن الأستراليين يعارضون ضرب العراق ومن ثم فإن اللوم سيقع على عاتق رئيس الوزراء الأسترالي على هجمات بالي وكذلك الحال في إيطاليا ..

كما كانوا على دراية بالمظاهرات الحاشدة في بريطانيا ضد زيارة بوش .

ولأن ضرب بريطانيا أثناء زيارة الرئيس الأمريكي لم تكن بالأمر اليسير فكان ضرب الأهداف البريطانية في تركيا. إنهم يعرفون تماماً رغبة بوش العارمة في تبرئة ساحته بشأن الحرب على العراق قبيل الإنتخابات الرئاسية في العام القادم ،

ومن ثم فإنهم يزيدون من هجماتهم على القوات الأمريكية في العراق لقد عقدوا العزم على تصفية بوش سياسياً إن لم يكن جسدياً وكذلك رئيس الوزراء البريطاني بلير) أهـ

هذه عينة من تحليلات أسيادكم أيها المنظرون المنهزمون نلجمكم بها ، وتلك هي تحليلاتكم وتنظيراتكم المنهزمة ، والمجاهدون كما قلنا من قبل في غنىً عن تنظيركم وتنظير أسيادكم ؛ إذ أن لهم منظروهم وفقهاؤهم ، وهاديهم شرع عظيم وكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولذا فهم ليسوا بحاجة إلى فقه و تنظير الخوالف والمنهزمين الفرحين بقعودهم الراضين بتخلفهم فطبع الله بذلك على قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يعلمون ..

إذ أنه وكما أن الله تعالى يطلق بصائر المجاهدين في سبيله ويهديهم سبحانه إلى سبله .. فكذلك أيضا وفي المقابل يطبع على قلوب الخوالف القاعدين فيجعلهم من أجهل الخلق وأضحلهم فقهاً وعلماً وتنظيراً ..

فكيف ترانا بعد ذلك سنعبأ بتنظيرهم المنهزم أو تحليلهم المندحر ؟

قال تعالى : (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) 87-التوبة.

وقال سبحانه : (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) 93-التوبة.

الخـاتـمــة

ليس من أراد الشر فأدركه كمن أراد الخير فأخطأه

ليعذرني إخواني على بعض شدتي في هذه الوقفات ، فما هي والله إلا الحرقة على هذه الدعوة والغيرة على هذا الجهاد وأهله ، والحرص على أن يكونوا بأبهى صورة وأحسن حال .. وأن يتجنبوا اجترار هذه الأخطاء وتكرار تلكم التخبّطات ....

فهي وقفات مستوحاة من تأملات لصورة كالحة وتجارب فاشلة عايشت أهلها في فترات سجني المتكررة ؛ حرصت على أن أستخلص منها العبر والفوائد والتنبيهات لأوصلها إلى الشباب المبتدئ على عتبات هذا الطريق ، فالشدة فيها ليست هدفاً ومقصداً بل هي وسيلة للردع والتنفير عن هذه الأغلاط الشنيعة والزلاّت المريعة ، ومرارتها محمودة كمرارة الدواء الذي يتحمله المريض ليسترد به عافيته ويدفع عن نفسه البلاء ...

وهي كتلك الشدّة التي يحتاج المرء أن يُجريها أحياناً على يديه لينظفها مما علق بها من الأوساخ ...

فعاقبتها إن شاء الله محمودة وفائدتها بإذن الله موجودة لا مفقودة ، وليعلم قارئ هذه الكلمات أن عين من شدّدت عليهم في القول ها هنا نقداً وَمُناصحة ؛ كنتُ قد ناصرت أكثرهم في مواطن أخرى كانت تستدعي النصرة لإخوةٍ ظُلِموا وتجنى عليهم الطغاة بل وكثير من المنتسبين للدين ... ولا تمنعني نصرتي لهم على من ظلمهم ، من قول الحق في زلاّتهم ومناصحتهم في أخطائهم كي لا تتكرر أو يقع فيها غيرهم فلكل مقام مقال ، ولكل حادث حديث ..

ولا أشك بعد هذا طرفة عين أن أدنى من انتسب إلى هذه الدعوة مهما كانت أخطاؤه وانحرافاته ومهما كان جهله وإسرافه ؛ بأنه إن خلصت نيته وصلحت سريرته وكان ممن

ينشد الخير لهذه الدعوة والنصرة لهذا الدين ويتحرّق على ما آل إِليه حاله وحال أهله ؛ لا أشك طرفة عين بأنه خير وأعلى وأنقى مهما قَلَّت خبرته وكبرت عثرته ممن سعى لحرب الدين وأهله وبذل عمره في نصرة أعداءه وشانئيه ؛ فخبثت سريرته وفسدت نيّته ...

ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ...

وأن الكافرين لا مولى لهم ....

تم إنزال هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info

المحتويات

كلمة بين يدي الوقفات

- الوقفة الأولى : سوء فهم لحديث الصّعب بن جَثّامة
- الوقفة الثانية : أعط القوس باريها
- الوقفة الثالثة : ويقللكم في أعينهم
- الوقفة الرابعة : (ولتستبين سبيل المجرمين)
- الوقفة الخامسة : العشائرية ومنـزلق الركون إليها
- الوقفة السادسة : والله ماهَزُلَتْ فيستامها المُفْلِسون
- الوقفة السابعة : السجن جَنّات ونار
- الوقفة الثامنة : " رفقاً بالقوارير "
- الوقفة التاسعة : (من لي بمثلِ مشيكَ المدلّلِ * تمشي رويداً وتجي بالأوّلِ)
- الوقفة العاشرة : الحذر والكتمان بين الإفراط والتفريط
- الوقفة الحادية عشر : مسألة القتال مع الأمير الفاجر بين الإفـراط والتفريط
- الوقفة الثانية عشر : بين قتال النكاية وقتال التمكين
- الوقفة الثالثة عشر : (وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم)
- الوقفة الرابعة عشر : الخطاب الإعلامي للدعوة والجهاد بين الإفراط والتفريط
- الوقفة الخامسة عشر : عـقـوق الـدعـــوة (الفصامـيون)
- الوقفة السادسة عشر : بين الجائز والأصلح .. وبين المشروع والأنفع ..
- الوقفة السابعة عشر : الكلاب تنبح والقافلة تسير

الخـاتـمــة : ليس من أراد الشر فأدركه كمن أراد الخير فأخطأه